بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة أثر عمل القلب على العبادات

(٩)

أثر عمل القلب على عبادة الزكاة والصدقة

د.ابراهيم بن حسن الحضريتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ اللهُ فلا مضلّ له، ومن يضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن الاهتمام بعمل القلب في عبادة الزكاة والصدقة، له آثاره العظيمة على هذه العبادة في زيادة البركة والخير والنماء والحفظ والرعاية، وسيتضح ذلك من خلال مباحث هذا الكتاب.

وهذا الكتاب –الذي أعانني الله عليه، ووفقني لأن أكتبه فله الحمد والمنة– هو التاسع في هذه السلسلة التي أسال الله أن يبارك فيها(أثر عمل القلب على العبادات).

ملاحظة: وإذا ورد لفظ الزكاة في البحث فاقصد به المفروضة، وأما الصدقة فالمقصود بها التطوع.

وأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يرزقني الإخلاص فيه، وأن ينفعني به وكل من قرأه والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الدكتور: إبراهيم بن حسن الحضريتي

إمام وخطيب جامع القناعة بشرائع المجاهدين بمكة المكرمة

ebrahim1407@gmail.com

خطة البحث وفق المحاور الآتية:

التمهيد، وفيه مسائل.

المسألة الأولى :مكانة الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، وأثر ذلك في قبول العبادات.

المسألة الثانية: أهمية عمل القلب وآثاره العامة على العبادات.

المسألة الثالثة: الفرق بين الزكاة والصدقة.

المسألة الرابعة: أنواع الصدقات.

الباب الأول: مكانة عبادة الزكاة والصدقات وفضلها، وفيه مباحث.

المبحث الاول: مكانة عبادة الزكاة، وفيه مطالب.

المطلب الأول: مما يدل على مكانة الزكاة العظيمة أنها أحد أركان الإسلام.

المطلب الثاني: ومما يدل على مكانة الزكاة العظيمة اقترانها بالصلاة.

المطلب الثالث: ومما يؤكد عظيم مكانة الزكاة أن من منعها يقاتل.

المطلب الرابع: ومما يدل على مكانة الزكاة شدة عقوبة تاركها.

المبحث الثاني: فضل الزكاة والصدقة.

الباب الثاني: أثر عمل القلب على عبادة الزكاة والصدقة وفيه مباحث.

المبحث الأول: الإخلاص وأثره على عبادة الزكاة والصدقة.

المبحث الثاني : المحبة وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة.

المبحث الثالث: الخوف والخشية وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة.

المبحث الرابع: الرجاء وأثره على عبادة الزكاة والصدقة.

المبحث الخامس تعلق القلب بالآخرة وأثره على عبادة الزكاة والصدقات.

الباب الثالث: أثر مفسدات عمل القلب على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه تمهيد ومباحث.

التمهيد.

الشيطان وأثره على قلب العبد في صرفه عن هذه العبادة.

المبحث الأول: الرياء وحب السمعة وأثرهما على عبادة الزكاة والصدقة.
المبحث الثاني : البخل والشح وآثاره.
المبحث الثالث: حب الدنيا وتعلق القلب بها وآثاره.
المبحث الرابع: المن والأذى.
المبحث الخامس: قلة الورع وخطره.
الباب الرابع: أحكام عامة متعلقة بالزكاة والصدقة لها صلة وثيقة بالقلب، وفيه تمهيد وعدة مباحث.
التمهيد
منهج الإسلام في التعامل مع المال.
المبحث الأول: حسن الخلق والجوار وصلة الرحم وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة.
المبحث الثاني: الحرص على الكسب الطيب وأثره.
المبحث الثالث: الكسب الخبيث وخطره.
المبحث الرابع: المفهوم الصحيح للزهد في الدنيا.
المبحث الخامس: العفة وعدم سؤال الناس.
المبحث السادس: كثرة الحمد والشكر لله على نعمة المال وأثرها.
المبحث السابع: مجالات للصدقة بغير المال، وحسن النية في ذلك.

التمهيد، وفيه مسائل.

المسألة الأولى :مكانة الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، وأثر ذلك في قبول العبادات.

لا تقبل أي عبادة إلا إذا أخلص صاحبها لله تعالى، واتبع سنة النبي ﷺ واقتفى أثره في هذه العبادة.

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في كتب سابقة، فلا أرى حاجة لإعادته هنا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتبي التي تعرضت فيها لهذه المسألة بشيء من التفصيل.

المسألة الثانية: أهمية عمل القلب وآثاره العامة على العبادات.

وقد سبق الكلام عن هذا في كتب سابقة، ويكفي في الدلالة على أهمية عمل القلب وأثره هذه الإشارات.

أولاً: كثرة ذكرها في القرآن العظيم، وقد بينت ذلك في كتب سابقة ولله الحمد والمنة.

ثانياً: ويكفي في الدلالة على عظيم مكانة عمل القلب في السنة ماورد في الحديثين الآتيين:

١- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1]، فالقلوب وأعمالها هي محل نظر الرب ﷻ.

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[2]، فصلاح الجوارح مرتبط بصلاح القلب، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح ولا بد لنص الحديث؛ ولأن الظاهر مرتبط بالباطن.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٧) ح (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩).

٣- **ومن آثار عمل القلب العامة على العبادات:**

أ- مجاهدة النفس على الإخلاص لله تعالى، مما يثمر الحرص على سلامة المقاصد في العبادات من العجب والرياء والسمعة.

ب- مجاهدة النفس على اتباع الهدي النبوي في أداء العبادة والحرص على سلامتها من البدع.

ج- طهارة القلب من التعلق بغير الله يثمر حضور القلب في العبادة وعدم تشتته في أودية الدنيا، ولايؤدي إلى ضيقه بالعبادة وثقلها عليه؛ لأنه اذا تعلق القلب بالله وحده لا شريك له صفا له قلبه وطهر وصار همه الآخرة، وسلم من التشتت والفتنة التي تضرب بها القلوب المتعلقة بغير الله، فتثبطها عن طاعة الله، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»(١).

د- الحرص على إتقان العبادة وإتمامها، والاجتهاد في الوصول إلى مقام الإحسان في العبادات، كما قال ﷺ عن مقام الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢) ح (٢٤٦٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٦٦) ح (١١٦٩٠) ، وذكره الألباني في السلسة الصحيحة (٢/ ٦٣٣) ح (٩٤٩)، وصححه في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٩) ح (٦٥٠٥).

وأخرجه ابن ماجه(٢/ ١٣٧٥) ح (٤١٠٥) بلفظ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» من حديث زيد بن ثابت ﷺ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤) ح (٩٥٠)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٢٧) ح (٤١٠٥).

(٢)أخرجه البخاري (١/ ١٩) ح(٥٠)، ومسلم (١/ ٣٦) ح(٨).

وهذه المرتبة العظيمة لا تحصل إلا إذا سلم القلب لله تعالى، واستحضر عظمة الله ومراقبته له وعلمه واطلاعه عليه، وجاهد العبد نفسه على إصلاح قلبه، وتنقيته من شوائب العجب والرياء والكبر والحسد والشح والبخل، ومن بقية الآفات.

المسألة الثالثة: الفرق بين الزكاة والصدقة[1].

الزكاة لغة: النماء والريع والبركة والتطهير[2].

والصدقة لغة: مأخوذة من الصدق؛ إذ هي دليل على صدق مخرجها في إيمانه[3].

وأما تعريفها شرعاً:

فالزكاة: هي التعبد لله عز وجل بإعطاء ما أوجبه من أنواع الزكوات إلى مستحقيها على حسب ما بينه الشرع.

والصدقة: هي التعبد لله بالإنفاق من المال من غير إيجاب من الشرع، وقد تطلق الصدقة على الزكاة الواجبة.

وأما الفرق بين الزكاة والصدقة فكما يلي:

١- الزكاة أوجبها الإسلام في أشياء معينة وهي: الذهب والفضة والزروع والثمار وعروض التجارة وبهيمة الأنعام وهي الأبل والبقر والغنم.

وأما الصدقة: فلا تجب في شيء معين بل بما يجود به الإنسان من غير تحديد.

٢- الزكاة: يشترط لها شروط مثل الحول والنصاب. ولها مقدار محدد في المال.

وأما الصدقة: فلا يشترط لها شروط، فتعطى في أي وقت وعلى أي مقدار.

---

(١) ينظر: موقع الإسلام سؤال وجواب (٥/ ٢٣٤٣ بترقيم الشاملة آليا) ويراجع الموقع على الشبكة، وقد نقلت ما ذكره في الموضع كاملاً لاستيعابه موضوع الفروق بشكل تفصيلي و لم أجده عند غيره على حسب بحثي، وينظر أيضاً: شرح زاد المستقنع – الشنقيطي – التفريغ (٩٨/ ١٦ بترقيم الشاملة آليا)، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (ص٥-١٠).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٤ / ٣٥٨)، فتح القدير (٢ / ٣٩٩).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢ / ٣٩٩).

٣- الزكاة: أوجب الله أن تعطى لأصناف معينة فلا يجوز أن تعطى لغيرهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأما الصدقة: فيجوز أن تعطى لمن ذكروا في آية الزكاة ولغيرهم.

٤- من مات وعليه زكاة فيجب على ورثته أن يخرجوها من ماله وتقدم على الوصية والورثة.

وأما الصدقة: فلا يجب فيها شيء من ذلك.

٥- مانع الزكاة يعذب كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، وَتَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...".

وأما الصدقة: فلا يعذب تاركها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٧٢) ح(٩٨٧).

٦- الزكاة: على المذاهب الأربعة لا يجوز إعطاؤها للأصول والفروع والأصول هم الأم والأب والأجداد والجدات، والفروع هم الأولاد وأولادهم.

وأما الصدقة: فيجوز أن تعطى للفروع والأصول.

٧- الزكاة: لا يجوز إعطاؤها لغني ولا لقوي مكتسب.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلَانِ: أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَهُوَ يُقَسِّمُ الصَّدَقَةَ، فَسَأَلَاهُ مِنْهَا، فَرَفَعَ فِينَا الْبَصَرَ وَخَفَضَهُ، فَرَآنَا جَلْدَيْنِ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»(١).

وأما الصدقة: فيجوز إعطاؤها للغني والقوي المكتسب.

٨- الأفضل في الزكاة أن تؤخذ من أغنياء البلد فترد على فقرائهم، بل ذهب كثير من أهل العلم أنه لا يجوز نقلها إلى بلد آخر إلا لمصلحة.

وأما الصدقة: فتصرف إلى القريب والبعيد.

٩- الزكاة: لا يجوز إعطاؤها للكفار والمشركين.

وأما الصدقة: فيجوز إعطاؤها للكفار والمشركين.

كما قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، قال القرطبي: "والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركاً"(٢).

١٠- لا يجوز للمسلم أن يعطي الزكاة لزوجته، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك(٣).

وأما الصدقة: فيجوز أن تعطى للزوجة.

وهذه بعض الفوارق أيضاً بين الزكاة والصدقة.

---

(١) أخرجه أبو داود(٢/ ١١٨ ت محيي الدين عبد الحميد) ح(١٦٣٣) والنسائي (٥/ ١٤٤) ح(٢٥٩٨). والحديث: صححه الإمام أحمد وغيره.

ينظر: " تلخيص الحبير " (٣ / ١٠٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٥٥٠)ح(٢٤٣٥)، وقال شعيب الأرناؤوط :«إسناده صحيح» في تعليقه على سنن أبي داود (٣/ ٧٥ ت الأرنؤوط)ح(١٦٣٣).

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٣٨).

(٣) الإجماع لابن المنذر (ص٥٩).

وتطلق الصدقة على جميع أعمال البر، قال البخاري رحمه الله في صحيحه: باب كل معروف صدقة، ثم روى بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(١).

قال ابن بطال رحمه الله: "دل هذا الحديث على أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة"(٢).

وقال النووي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»: "أي: له حكمها في الثواب"(٣)، والله أعلم(٤).

وفي كتاب شرح زاد المستقنع للشيخ محمد المختار الشنقيطي: «الفرق بين الزكاة والصدقة

السؤال: ما الفرق بين الزكاة والصدقة؟

الجواب:

الزكاة فريضة، والصدقة نافلة، وقد تُطلق الصدقة بمعنى الزكاة.

وإنما سمِّيت الصدقة صدقة؛ لأن الإنسان يصدق فيها رغبته في طاعة الله عز وجل، والسبب في ذلك: أن الإنسان بالصدقات يتجاوز حدود الواجب إلى غير الواجب، فكأنه صدق في محبة الله عز وجل، وصدق في التماس ما عند الله من الأجر والمثوبة بإنفاق ماله أو نحو ذلك من وجوه الخير التي يفعلها.

وعلى ذلك قالوا: إن الصدقة تكون نافلة، والزكاة تكون واجبة، ثم الصدقة تكون في وجوه الخير عموماً، والزكاة لا تصرف إلا لأصنافها الخاصة، والصدقة تكون من جميع الأموال، ولكن الزكاة لا تكون إلا من أموال مخصوصة.

والصدقة لا تتقيد بوقت، والزكاة تتقيد بوقت، وبناءً على ذلك تفترق الصدقة عن الزكاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١١)ح(٦٠٢١).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٢٣) ونقله عنه بهذا اللفظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري(١٠/ ٤٤٨ ط السلفية).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩١).

(٤) نقلته بطوله –مع بعض التصرف والإضافة– من موقع الإسلام سؤال وجواب (٥/ ٢٣٤٣ بترقيم الشاملة آليا)، ويراجع الموقع على الشبكة.

وأمر الصدقة أعمّ من أمر الزكاة، ولذلك لا يشترط فيها ما يشترط في الزكاة، ولا تعتبر آخذة حكم الزكاة، حتى قال بعض العلماء: إنه قد يجوز الشيء في الصدقة ولا يجوز في الزكاة، كقول من يقول بجواز أخذ الهاشمي ومن كان من آل البيت من الصدقات العامة، ولا يجوز أن يأخذ من الزكاة، وإن كان الأقوى والأرجح أنهم لا يأخذون من عموم الصدقات.

والله تعالى أعلم»[1].

و«لفظ الصدقة نوعان:

النوع الأول: صدقة تطلق على صدقة التطوع.

النوع الثاني: صدقة تطلق على صدقة الفرض، التي هي الزكاة»[2].

(١) شرح زاد المستقنع – الشنقيطي – التفريغ (٩٨/ ١٦ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (ص١٠).

المسألة الرابعة: أنواع الزكاة[1].

والزكاة لها ثلاثة أنواع:

«**النوع الأول**: زكاة النفس، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٩].

وتزكية النفس: تطهيرها من الشرك، والكفر، والنفاق، والذنوب والمعاصي، والأخلاق الذميمة.

النوع الثاني: زكاة البدن، وهي صدقة الفطر من شهر رمضان المبارك، وقد فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، طهرة للصائم من اللغو والرفث: صاعاً من طعام، أو من برٍّ، أو تمر، أو شعير، أو أقط، أو زبيب[2].

النوع الثالث: زكاة الأموال وهي ركن من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة، وهي طهرة للأموال، والأنفس، وبركة في الأموال والأنفس»[3].

---

(١) ينظر: الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (ص٥-٧).

(٢) كما جاءت بذلك الأحاديث، ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري (٢/ ١٣٠)ح(١٥٠٣) واللفظ له، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ».

وأخرجه كذلك مسلم (٣/ ٦٨)ح(٩٨٤).

(٣) الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (ص٦)، وينظر: الشرح المختصر على متن زاد المستقنع، للعلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (٢/ ٢٣٦-٢٣٧).

المسألة الخامسة: أنواع الصدقات.

أولاً: الصدقة بالمال، ولها أنواع كثيرة، ومنها:

١- زكاة المال.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:«قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، آمراً له بما يطهر المؤمنين، ويتمم إيمانهم: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} وهي الزكاة المفروضة، {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

{وَتُزَكِّيهِمْ} أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.

{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموماً وخصوصاً عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

{إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} لدعائك، سمع إجابة وقبول.

{عَلِيمٌ} بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته..»[(١)].

٢- النفقة الواجبة.

وهي النفقة على الأهل فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ »[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي(ص٣٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٧٨)ح(٩٩٥).

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

ويشترط في ذلك احتساب النية، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»(٢).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهْوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»(٣).

٣- إنفاق المال وغيره في مجالات البر، وله أبواب كثيرة، ومنها:

- **التصدق بسقيا الماء.**

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " سَقْيُ الْمَاءِ "(٤).

- **الصدقة على الأقارب.**

لما سألت زينب زوجة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما النبي ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ قالَ صلى الله عليه وسلم: " نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ"(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٧٨)ح(٩٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢١)ح(٥٦)، ومسلم (٥/ ٧١)ح(١٦٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٦٢)ح(٥٣٥١)، ومسلم (٣/ ٨١)ح(١٠٠٢).

(٤) أخرجه أحمد (٣٧/ ١٢٤ ط الرسالة)ح(٢٢٤٥٩)، والنسائي (٦/ ٤٨١)ح(٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢١٤ ت عبد الباقي)ح(٣٦٨٤)، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ١٣٥)ح(٣٣٤٨)، وحسن الحديث الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٧٧٨)ح(٣٤٢٥) وفي غيره، وقال الارناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه (٤/ ٦٤٤ ت الأرنؤوط): «رجاله ثقات وهو منقطع، سعيد بن المسيب لم يدرك سعد بن عبادة»، وبسبب الانقطاع ذهب بعض أهل العلم إلى تضعيفه، والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٢)ح(١٤٦٦).

ويَقُولُ ﷺ :" الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ "(١).

- **إنظار المعسر أو العفو عنه.**

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، كَانَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ، كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ "(٢).

وعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ " قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ " قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ: " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ " ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: " مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ " قَالَ لَهُ: " بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ، فَأَنْظَرَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ "(٣).

---

(١) أخرجه أحمد(٢٩/ ٤١٦ ط الرسالة)ح(١٧٨٨٤)، والدارمي – ت حسين أسد (٢/ ١٠٤٦)ح(١٧٢٢)، والنسائي(٥/ ١٣٠)ح(٢٥٨٢)، وابن ماجه (١/ ٥٩١ ت عبد الباقي)ح(١٨٤٤)، وابن خزيمة (٤/ ٧٧) ح(٢٣٨٥)، وفي الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ١٣٢)ح(٣٣٤٤)، والمستدرك على الصحيحين (١/ ٥٦٤)ح(١٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٥٤٦)ح(٢٤٢٠)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه (٣/ ٥١ ت الأرنؤوط): «صحيح لغيره»، وقال محقق مسند الدارمي حسين أسد (٢/ ١٠٤٦): «إسناده جيد»، ويشهد لصحته حديث زينب زوجة ابن مسعود عند البخاري وقد سبق قبله.

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٦٩ ط الرسالة)ح(٢٢٩٧٠)، وابن ماجه (٢/ ٨٠٨ ت عبد الباقي)ح(٢٤١٨)، وصححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه (٢/ ٨٠٨ ت عبد الباقي)ح(٢٤١٨)، وصححه محقق مسند أحمد (٣٨/ ٦٩ ط الرسالة)ح(٢٢٩٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨/ ١٥٣ ط الرسالة)ح(٢٣٠٤٦)، والحاكم في المستدرك(٢/ ٣٤)ح(٢٢٢٥) وصححه ووافقه الذهبي، وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ١٧٠):«وإسناده صحيح رجاله ثقات محتج بهم في صحيح مسلم»، وقال محقق مسند أحمد (٣٨/ ١٥٣ ط الرسالة):«إسناده صحيح على شرط مسلم».

وقال ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»[1].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ، أَوْ مَحَا عَنْهُ، كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[2].

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٢٣٢)ح(٣٠٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/ ٢٥١ ط الرسالة)ح(٢٢٥٥٩)، وقال محقق مسند أحمد (٣٧/ ٢٥١ ط الرسالة): «إسناده صحيح»، والدارمي – ت حسين أسد (٣/ ١٦٨٧)ح(٢٦٣١)، وقال محققه:" إسناده صحيح ".

- **الإنفاق في إطعام الطعام.**

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[(١)].

- **جعل المال في الصدقة الجارية وهي الأوقاف.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٢)].

- **بذل المال في القرض الحسن.**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، «عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ، فَرَأَى عَلَى بَابِهَا مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ»[(٤)].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٢).

(٢) صحيح مسلم (٥/ ٧٣)ح(١٦٣١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٤٦)ح(٤٠٢)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب- ت عمارة (٢/ ٤٠)ح(٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢/ ٨٣٥)ح(٤٥٤٢).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب- ت عمارة (٢/ ٤٠)ح(٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٧)ح(٩٠٠)، وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة(٧/ ١٢٠١)ح(٣٤٠٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٢ ت عبد الباقي)ح(٢٤٣٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٨)ح(٩٠١):"صحيح لغيره".

ثانياً: الصدقة بغير المال، وهي على نوعين كما ذكر ذلك ابن رجب، ولكل نوع أمثلة كثيرة، فقال رحمه الله: «والصدقة بغير المال نوعان:

أحدهما: ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق، فيكون صدقةً عليهم، وربما كان أفضلَ من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فإنَّه دُعاءٌ إلى طاعة الله، وكفٌّ عن معاصيه، وذلك خيرٌ من النَّفع بالمال، وكذلك تعليمُ العلم النافع، وإقراءُ القرآن، وإزالةُ الأذى عن الطريق، والسعيُ في جلب النفع للناس، ودفعُ الأذى عنهم. وكذلك الدُّعاءُ للمسلمين والاستغفارُ لهم...» وذكر رحمه الله أدلة كل مثال إلى أن قال:

«والنوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية: ما نفعُه قاصرٌ على فاعله، كأنواع الذِّكر: مِنَ التَّكبير، والتَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، والاستغفار، وكذلك المشيُ إلى المساجدِ صدقة، ولم يذكر في شيءٍ من الأحاديث الصَّلاة والصيام والحج والجهاد أنَّه صدقة، وأكثرُ هذه الأعمال أفضلُ من الصَّدقاتِ الماليَّة، لأنَّه إنَّما ذكر ذلك جوابًا لسؤالِ الفُقراء الَّذينَ سألوه عمَّا يُقاوم تطوَّع الأغنياء بأموالهم، وأما الفرائض، فقد كانوا كلهم مشتركين فيها» إلى آخر كلامه رحمه الله[1].

والأدلة ذكرها ابن رجب رحمه الله على ذلك كثيرة، ونأخذ منها على سبيل المثال.

١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَيْسَ مِنْ نفس بن آدَمَ إِلَّا عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا؟ فَقَالَ: "إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ"[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٩- ٦٦ ت الأرنؤوط).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ١٧١)ح(٣٣٧٧)، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

٢- وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: " لِأَنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ ".

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كَيْفَ يَكُونُ لِي أَجْرٌ فِي شَهْوَتِي؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَأَدْرَكَ وَرَجَوْتَ خَيْرَهُ فَمَاتَ، أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: " فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ " قَالَ: بَلِ اللهُ خَلَقَهُ. قَالَ: " فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟ " قَالَ: بَلِ اللهُ هَدَاهُ. قَالَ: " فَأَنْتَ تَرْزُقُهُ؟ " قَالَ: بَلِ اللهُ كَانَ يَرْزُقُهُ. قَالَ: " كَذَلِكَ فَضَعْهُ فِي حَلَالِهِ وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ أَحْيَاهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ، وَلَكَ أَجْرٌ"[1].

٣- وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[2].

٤- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٨٣- ٣٨٤ ط الرسالة)ح(٢١٤٨٤)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح».

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٣)ح(٢٣٢٠)، ومسلم (٥/ ٢٨)ح(١٥٥٣).

قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»(١).

الباب الأول: مكانة عبادة الزكاة والصدقات وفضلها، وفيه مبحثان.

المبحث الاول: مكانة عبادة الزكاة، وفيه مطالب.

المطلب الأول: مما يدل على مكانة الزكاة العظيمة أنها أحد أركان الإسلام.

فهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وأحد مبانيه العظام، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(٢).

المطلب الثاني: ومما يدل على مكانة الزكاة العظيمة اقترانها بالصلاة.

وقد اقترنت الزكاة بالصلاة في القرآن كثيراً جداً، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٨٢)ح(١٠٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١١)ح(٨)، ومسلم (١/ ٣٤)ح(١٦).

وقد ارتبطت الصلاة بالزكاة ارتباطاً مباشراً في القرآن العظيم في ست وعشرين آية.

المطلب الثالث: ومما يؤكد عظيم مكانة الزكاة أن من منعها يقاتل.

وقد نص على ذلك الحديث، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ"، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(٢).

المطلب الرابع: ومما يدل على مكانة الزكاة شدة عقوبة تاركها.

وجاءت النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في بيان شدة عقوبة تارك الزكاة في نصوص تنخلع من شدتها القلوب، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤)ح(٢٥)، ومسلم (١/ ٣٩)ح(٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٩٣)ح(٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (١/ ٣٨)ح(٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، وَتَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ..." (١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ قَطُّ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا، وَأَخْفَافِهَا، وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِقَوَائِمِهَا، وَلَا صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا، وَلَا صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ، فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٧٢) ح(٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٧٣)ح(٩٨٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَيْهِ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[1].

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٦)ح(١٤٠٣).

المبحث الثاني : فضل الزكاة والصدقة، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: فضلها في القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ﴿١٥﴾-﴿١٧﴾].

المطلب الثاني: فضل الزكاة والصدقة في السنة.

وقد سبق ذكر الكثير من الفضائل، ويمكن أن نضيف الآتي:

١- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ. ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ. ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٢).

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ اللهُ «أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»(٣).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٨/ ١١٢)ح(٦٥٤٠)، ومسلم (٣/ ٨٦)ح(١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١١٥)ح(١٤٤٢)، ومسلم (٣/ ٨٤)ح(١٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٦٢)ح(٥٣٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٨)ح(١٤١٠).

٥- وفي لفظ مسلم، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ»(١).

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٢).

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٨٥)ح(١٠١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ٢١)ح(٢٥٨٨).

الباب الثاني: أثر عمل القلب على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مباحث.

توطئة.

وسيكون الحديث عن هذه الأعمال القلبية على محورين:

الأول: كلام عام على هذه الأعمال من ناحية التعريف[1]، والأدلة، وأقوال أهل العلم عن ذلك العمل القلبي.

الثاني: سيكون الكلام على آثار العمل القلبي على عبادة الزكاة والصدقات بصفة خاصة.

المبحث الأول: الإخلاص وأثره على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: تعريفه.

لقد عرف الإخلاص بتعاريف كثيرة متقاربة، ومن أدقها تعريف الغزالي، فيقول رحمه الله عن الإخلاص بأنه: "تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب"[2].

وعرفه ابن القيم رحمه الله بمجموعة من التعريفات من أدقها: "إفراد الحق بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله"[3].

المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على الإخلاص.

لقد جاءت الأدلة الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالة على هذا العمل القلبي العظيم، ومنها على سبيل المثال:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية: "أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى، وما جاءوا

---

(١) سيكون التعريف لهذه الأعمال القلبية التعريف الاصطلاحي حرصاً على الاختصار.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩١-٩٢).

به عنه من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، وأن يكون خالصًا من الشرك"[1].

ويقول السعدي رحمه الله: "أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له. والدعاء يشمل: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه"[2].

- ومن الأدلة على الإخلاص قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا يثنكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]"[3].

- ومن الأدلة على وجوب إخلاص النية لله تعالى في جميع العبادات الظاهرة والباطنة[4] قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

- ومما ورد في السنة عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٣).

(٢) تفسير السعدي (٢٨٦).

(٣) تفسير السعدي (٧٣٤).

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٨٠)، تفسير السعدي (٩٣١).

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ١٤٠) ح (٦٦٨٩)، ومسلم(٣/ ١٥١٥) ح (١٩٠٧).

قال ابن رجب رحمه الله: "والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين:

أحدهما: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلًا، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظف، ونحو ذلك، وهذه النية هي التي توجد كثيرًا في كلام الفقهاء في كتبهم.

والمعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره؟ وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيرًا في كلام السلف المتقدمين"(١).

- ومما يدل على أن الإخلاص شرط لقبول العمل حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(٢).

- عن أبي هريرة ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا،

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٥-٦٦).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥) ح (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٨) ح (٥٢)، وقال في صحيح سنن النسائي (٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ح (٣١٤٠): "حسن صحيح".

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

والحديث من أعظم الزواجر عن الرياء والسمعة التي هي من نواقض الإخلاص.

المطلب الثالث: من أقوال العلماء في الإخلاص.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢]: "هو أخلصه وأصوبه"، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: "إن العمل إذا كان خالصًا و لم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا و لم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][2].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء"[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه"[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣) ح (١٩٠٥).

(٢) ينظر: حلية الأولياء (٨/ ٩٥)، مدارج السالكين (٢/ ٨٨-٨٩) مع بعض التصرف.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٢)، البداية والنهاية (١٤/ ١٥٠).

(٤) الفوائد (٤٩).

المطلب الرابع: أثر الإخلاص على عبادة الزكاة والصدقة، وأجمله في الآتي:

١- **قبول الله لصدقة العبد إذا أخلص نيته لله تعالى،** قال ﷺ:«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

٢- **ومما يدل على أثر الإخلاص في الصدقة، أن الحرص على إخفائها يثمر للعبد الاستظلال بظل عرش الرحمن في يوم القيامة،** وكما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكرهم، ومنهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»(٢).

٣- **ومن ثمار الإخلاص النجاة من شدائد وأهوال عذاب المرائين في صدقاتهم في يوم القيامة،** كما في الحديث الذي رواه مسلم(٣) الذي سبق في بيان خطر الرياء: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥) ح (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٨) ح (٥٢)، وقال في صحيح سنن النسائي (٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ح (٣١٤٠): "حسن صحيح".

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (١/ ١٣٣) ح (٦٦٠)، ومسلم (٢/ ٧١٥) ح (١٠٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣) ح (١٩٠٥).

٤- **ومن آثار الإخلاص على العبد حرصه على صدقة السر؛ ليفوز بما ورد في الحديث من أن صدقة السر تطفئ غضب الرب، ويسلم كذلك من العجب،** قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»(١).

وقال الترمذي رحمه الله: «لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية، وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب، لأن الذي يسر العمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانيته»(٢).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٦١)ح(٨٠١٤)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب - ت عمارة (٢/ ٣٠)، وقال ابن الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ١١٥)ح(٤٦٣٧):«رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢/ ٧٠٨)ح(٣٧٩٧).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١٨١).

المبحث الثاني : المحبة وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب.

المطلب الأول: تعريفها.

عرفها النووي رحمه الله بقوله: "المحبة: مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب ويكره ما كره"(١).

وخلاصة القول كما قال ابن القيم رحمه الله: "لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة"(٢).

المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على المحبة.

- ذكر ﷻ أنه يحب المتقين، ويحب الصابرين، ويحب المحسنين

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآيات في ذلك يصعب حصرها لكثرتها.

- وذكر أيضًا ﷻ أنه لا يحب الكافرين، ولا يحب المعتدين، ولا يحب المسرفين، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقوله تعالى وتبارك: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١١).

- وجعل ﷻ علامة على محبته اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].
- وذكر ﷻ أن المؤمنين أشد حبًّا لله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
- وقال ﷻ عن نفسه وعن عباده الصالحين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

دل الحديث على أن محبة الله ورسوله من أعظم أسباب حلاوة الإيمان، وهي جنة معجلة لمن حقق أسبابها.

المطلب الثالث: من أقوال العلماء في المحبة.

وقال ابن القيم رحمه الله: "المحبّة هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذّة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلّا بها.

وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللّسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبّة فاطره وبارئه وإلهه الحقّ أعظم من فساد البدن إذا خلا من الرّوح، وهذا الأمر لا يصدّق به إلّا من فيه حياة"(٢).

وقال أيضًا: "المحبّ الصّادق لا بدّ أن يقارنه أحيانًا فرح بمحبوبه، ويشتدّ فرحه به، ويرى مواقع لطفه به، وبرّه به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتّلطّف في إيصاله المنافع والمسارّ والمبارّ إليه بكلّ طريق، ودفع المضارّ والمكاره عنه بكلّ طريق"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٠) ح (٦٩٤١)، ومسلم (١/ ٦٦) ح (٤٣).

(٢) الجواب الكافي (١/ ٥٤٥-٥٤٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

وقال ابن قدامة رحمه الله: "علامة المحبّة كمال الأنس بمناجاة المحبوب، وكمال التّنعّم بالخلوة، وكمال الاستيحاش من كلّ ما ينقض عليه الخلوة، ومتى غلب الحبّ والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرّة عين تدفع جميع الهموم، بل يستغرق الحبّ والأنس قلبه"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإن المحب الصادق أحب شيء إليه الخبر عن محبوبه وذكره، كما قال عثمان بن عفان ﷺ: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله)(٢)، وقال بعض العارفين: كيف يشبعون من كلام محبوبهم وهو غاية مطلوبهم؟!"(٣).

المطلب الرابع: أثر المحبة على عبادة الزكاة والصدقات.

١- ومن أعظم آثار المحبة المسارعة والمسابقة إلى كثرة الإنفاق والبذل لله تعالى في مجالات الخير.

٢- إخراج الزكاة بنفس طيبة لينال الفضل الوارد في الحديث، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ، وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ، وَلَا الدَّرِنَةَ ، وَلَا الْمَرِيضَةَ، وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ "(٤).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٣٥١)ـــ.

(٢) ينظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢، ٣٠٠).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٩١).

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ١٠٣ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(١٥٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى(٨/ ٥٠ ت التركي)ح(٧٣٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (٥/ ٣٠٠)ح(١٤١٠)، وصححه الارناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٣/ ٣٢ ت الأرنؤوط).

المبحث الثالث: الخوف والخشية وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب.

المطلب الأول: التعريف.

عرفهما الراغب رحمه الله بقوله: "الخَوْف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أنّ الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"(١). أما الخشية فقال عنها: "الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]"(٢).

وقال الجرجاني رحمه الله: "الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله عن معنى الخشية: "والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فهي خوف مقرون بمعرفة"(٤).

المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على الخوف والخشية.

تنوعت نصوص القرآن الكريم في ذكر الخوف والخشية، فمن ذلك:

١- أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢- وتارة يجعل الله الخوف والخشية من صفات أوليائه وعباده أولوا الألباب، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا

---

(١) المفردات (٣٠٣).

(٢) المفردات (٢٨٣).

(٣) التعريفات (١٠١).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٠٨).

يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

٣- وتارة يذكر الله ﷻ أنه بسبب خوفهم منه أدخلهم الجنة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

٤- وتارة يذكر أن العاقبة في الدنيا لهم كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكرهم، ومنهم: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»(١).

ومن أعظم ما يحجز العبد عن المعصية خوفه من الله؛ لما يترتب على ذلك من العقوبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥].

المطلب الثالث: من أقوال العلماء في الخوف والخشية.

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كان يمسك لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، وقال: "يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل". وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر ﷺ(٢).

وقال عمر ﷺ: "لو نادى منادي من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا، لخفت أن أكون أنا هو"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١/ ١٣٣) ح (٦٦٠)، ومسلم (٢/ ٧١٥) ح (١٠٣١).

(٢) ينظر هذه الآثار في: حلية الأولياء (١/ ٣٣، ٢/ ٢٣٦)، إحياء علوم الدين (٣/ ١١١)، مختصر منهاج القاصدين (٣١٣)، البداية والنهاية (١/ ٩٥).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٥٣).

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة ﷺ: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: "يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًّا"[١].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي"[٢].

وقال المسور بن مخرمة ﷺ: لما طعن عمر قال: "لو أن لي طلاع الأرض[٣] ذهبًا، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه"[٤].

وبكى أبو هريرة ﷺ في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعدِ سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي"[٥].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار"[٦].

وقال الحسن أيضًا: "لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم"[٧].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب"[٨].

وقال ابن القيم رحمه الله: "والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط"[٩].

---

(١) شرح السنة (١٤/ ٣٧٣)، وينظر أيضًا: سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون/ ٨٣).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٣) قال الأصمعي: "طلاع الأرض: ملؤها". نقله عنه الجوهري في الصحاح (٣/ ١٢٥٤).

(٤) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٥) حلية الأولياء (١/ ٣٨٣)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٦) البخاري (٨/ ٦٨)، والترمذي واللفظ له (٤/ ٦٥٨).

(٧) شرح السنة (١٤/ ٣٧٤).

(٨) إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٢)، مدارج السالكين (١/ ٥٠٩).

(٩) مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

قال أبو عثمان رحمه الله: "صِدقُ الخوف هو: الورع عن الآثام ظاهرًا وباطنًا"[1].

ويقول ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله"[2].

المطلب الرابع: أثر الخوف والخشية على عبادة الزكاة والصدقة.

١- خوفه وخشيته من الله تعالى يجعله يسارع إلى الإنفاق والبذل في وجوه البر.

٢- يحث على إعطاء المساكين بشتى أنواع العطاء من المال والطعام، ويسارع هو في نفسه إلى إعطائهم.

٣- يحرص على صدقة السر.

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

المبحث الرابع: الرجاء وأثره على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مسائل.

المطلب الأول: تعريفه، وأدلته.

عرفه ابن القيم رحمه الله بقوله: "هو النظر إلى سعة رحمة الله"(١).

إذن، الرجاء: الطمع في رحمة الله، والنظر إلى سعتها.

من أدلة الكتاب والسنة على الرجاء.

- أخبر ﷻ عن سعة رحمته فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].
- وقال ﷻ مخاطبًا من أسرف على نفسه بالمعاصي: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

دلت الآيات على سعة رحمة الله تعالى، مما يفتح باب الرجاء للعبد، ويحدوه إلى التوبة من ذنوبه، وعليه أن يحذر من اليأس والقنوط من رحمة الله.

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ(٢) خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٣).

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

(٢) "أي: بما يقارب ملأها" النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٤) مادة (قرب).

(٣) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٧٥) ح (٢١٤٧٢) عن أبي ذر ﷺ، والترمذي واللفظ له(٥/ ٥٤٨) ح (٣٥٤٠) من حديث أنس ﷺ وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، والحاكم بلفظ مقارب عن أبي ذر ﷺ (٤/ ٢٦٩) ح (٧٦٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٥٠) ح (١٢٧)، وحسنه محقق المسند ح (٢١٤٧٢).

وعنه ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -أَوْ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ- لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ -أَوْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ-، لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١).

دل الحديثان على رحمة الله الواسعة بعباده المذنبين إذا أقبلوا عليه تائبين مستغفرين.

المطلب الثاني: من أقوال العلماء في الرجاء.

قال الغزالي رحمه الله: "الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود"(٢).

وقال ابن القيم عليه رحمة الله: "الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير"(٣).

"وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه"(٤).

وقال شاه الكرماني رحمه الله: "علامة صحة الرجاء حسن الطاعة"(٥).

وقال أبو علي الروذباري عليه رحمة الله: "الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت"(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ١٤٦) ح (١٣٤٩٣)، ومسند أبي يعلى (٧/ ٢٢٦) ح (٤٢٢٦)، وقال في مجمع الزوائد(١٠/ ٢١٥) ح (١٧٦٢٤): "رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله ثقات"، وقال محقق المسند ح (١٣٤٩٣): "صحيح لغيره".

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٢).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

(٦) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٧/ ٨٩) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

المطلب الثالث: أثر الرجاء على عبادة الزكاة والصدقة.

من أعظم ما يجعل العبد يسارع ويسابق إلى طاعة الله: الرجاء لما عند الله، والطمع في رحمته، والفوز بجنته قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومن ذلك البذل والإنفاق في مجالات البر.

المبحث الخامس: تعلق القلب بالآخرة وأثره على عبادة الزكاة والصدقات، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: معناه والدليل عليه.

معنى تعلق القلب بالآخرة ما جاء في الحديث قالﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»(١).

وفي لفظ: «مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الآخِرَةَ جَعَلَ اللَّهُ تبارك وتعالى الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَنَزَعَ الْفَقْرَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ فَلا يُصْبِحُ إِلَّا غَنِيًّا، ولَا يُمْسِي إِلَّا غَنِيًّا، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا وَسُؤْلُهُ جَعَلَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَلا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا، ولَا يُمْسِي إِلَّا فَقِيرًا»(٢).

أي يصبح ويمسي وقلبه متعلق بالآخرة، فيكون مقصده ونيته الفوز برضوان الله ونعيم الآخرة، والنجاة من عذاب الآخرة.

المطلب الثاني: أثر تعلق القلب بالآخرة على عبادة الزكاة والصدقة.

١- سلامة القلب من أمراض البخل والشح.

٢- سهولة البذل والإنفاق عليه، وحبه لذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢) ح (٢٤٦٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٦٦) ح (١١٦٩٠) ، وذكره الألباني في السلسة الصحيحة (٢/ ٦٣٣) ح (٩٤٩)، وصححه في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٩) ح (٦٥٠٥).

وأخرجه ابن ماجه(٢/ ١٣٧٥) ح (٤١٠٥) بلفظ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» من حديث زيد بن ثابت ﷺ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤) ح (٩٥٠)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٢٧) ح (٤١٠٥).

(٢) أخرجه البزار(١٣/ ٢٢١)ح(٦٧٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٥٤٢ ط الرشد)ح(٩٨٥٨)، وذهب بعض أهل العلم من المتقدمين إلى تضعيفه، وقال عنه الألباني: "صحيح لغيره" في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣١)ح(٣١٦٩)، وقال عنه محقق شعب الإيمان (١٢/ ٥٤٢ ط الرشد):«إسناده ضعيف لكنه حسن في المتابعات».

٣- السخاء والجود والكرم الخالص لله تعالى.

الباب الثالث: أثر أمراض عمل القلب وآفاته على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه تمهيد ومباحث.

التمهيد، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: كيد الشيطان في إبعاد الإنسان عن الإنفاق وتنفيره من ذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الآية [الإسراء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وعن بريدة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا "(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٦٠ ط الرسالة)ح(٢٢٩٦٢)، والبزار في مسنده (١٠/ ٣٢٨)ح(٤٤٥٦)، والحاكم (١/ ٥٧٧)ح(١٥٢١) وصححه وأقره الذهبي، وقال في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٩)ح(٤٦٠١): «رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٠١٢)ح(٥٨١٤)، وقال محقق مسند أحمد (٣٨/ ٦٠ ط الرسالة): «رجاله ثقات».

وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَرَأَ {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ} [البقرة: ٢٦٨] الآيَةَ[1].

وهذه النصوص بمجموعها تدل على أن الشيطان يزين للإنسان الشح والبخل، ويجعل قلبه يضيق من الصدقة، فيثقلها عليه، فيصعب عليه الإنفاق والبذل.

المسألة الثانية: كيف يدفع الإنسان عن قلبه كيد الشيطان الذي يزين له البخل والشح، ويثقل عليه الصدقة؟

أولاً: أن نحذر من كيد الشيطان ووساوسه بكثرة الاستعاذة بالله تعالى منه، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وكما سبق في حديث ابن مسعود رضي الله عنه «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَرَأَ {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ} [البقرة: ٢٦٨] الآيَةَ.

ثانياً: اليقين في القلب بما ورد في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما سبق في فضل الصدقة، وأن الله يخلف على العبد، من مثل:

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢١٩)ح(٢٩٨٨)وقال "حسن غريب"، وأبو يعلى (٨/ ٤١٧ ت حسين أسد)، وابن حبان(٢/ ٣٩٧)ح(١٥٦٠)، والحديث ذهب إلى تضعيفه أكثر المحققين.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ..»[1].

وكما سبق في الحديث الذي في الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

وكما في الحديث الذي في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ اللهُ «أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

فإذا حصل في قلب العبد اليقين بهذه المعاني سارع وسابق إلى الإنفاق والبذل في مجالات البر، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، مع يقينه أنه لا تنقص صدقته من ماله، بل يعوضه الله من فضله العظيم بركة وتوفيقاً ونماءً وحفظاً وحماية.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فإن قال قائل: كيف يزيد الله تعالى المنفِق فضلاً ونحن نشاهد أن الإنفاق ينقص المال حساً؛ فإذا أنفق الإنسان من العشرة درهماً صارت تسعة؛ فما وجه الزيادة؟

فالجواب: أما بالنسبة لزيادة الأجر في الآخرة فالأمر ظاهر؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ ومن تصدق بما يعادل تمرة من طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يربيها له حتى تكون مثل الجبل؛ وأما بالنسبة للزيادة الحسية في الدنيا فمن عدة أوجه:

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٢١)ح(٢٥٨٨).

الوجه الأول: أن الله قد يفتح للإنسان باب رزق لم يخطر له على بال؛ فيزداد ماله.

الوجه الثاني: أن هذا المال ربما يقيه الله سبحانه وتعالى آفات لولا الصدقة لوقعت فيه؛ وهذا مشاهد؛ فالإنفاق يقي المال الآفات.

الوجه الثالث: البركة في الإنفاق بحيث ينفق القليل، وتكون ثمرته أكثر من الكثير؛ وإذا نُزعت البركة من الإنفاق فقد ينفق الإنسان شيئاً كثيراً في أمور لا تنفعه؛ أو تضره؛ وهذا شيء مشاهد»[1].

ثالثاً: إذا أحس العبد في قلبه بثقل الصدقة عليه، فليتوجه إلى الله بالدعاء الصادق أن يعينه على الصدقة، وأن يجيره من كيد الشيطان ومكره.

رابعاً: إذا شعر بأن نفسه تقوده إلى البخل والشح والتقتير، ولا تسمح بإعطاء حق الله في المال، فليحرص على أسباب زيادة إيمانه، لأن هذه مؤشرات على ضعف الإيمان، وكثرة الإنفاق والبذل في مجال الخير من علامات حسن الإيمان.

وذكر الإمام النووي رحمه الله من ضمن معاني الصدقة قوله: «وقيل لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه كما سبق في قوله ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»[2]، قالوا: وسميت صدقة؛ لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه»[3].

وقال أيضاً رحمه الله: «الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها؛ لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه، والله أعلم»[4].

وقال صاحب البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: «الصدقة برهان على صحة الإيمان، وطيبُ النفس بها علامةٌ على وجود حلاوة الإيمان وطعمه، كما في حديث عبد الله بن معاوية العامريّ رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٤٠)ح(٢٢٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ٤٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠١).

من فَعَلهنّ، فقد طَعِم طَعْمَ الإيمان: مَن عَبَد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأَدَّى زكاةَ ماله، طيبةً بها نفسه، رافدةً عليه في كل عام"، وذكر الحديث، أخرجه أبو داود.

وقد تقدّم قريبًا[1] حديث أبي الدرداء رضي الله عنه فيمن أَدَّى زكاة ماله طَيِّبَةً بها نفسه، قال: وكان يقول: لا يفعل ذلك إلا مؤمنٌ.

وسبب هذا أن المال تُحِبّه النفوس، وتَبْخَل به، فإذا سَمَحَت بإخراجه لله عز وجل دَلَّ ذلك على صحة إيمانها بالله، ووعده ووعيده»[2].

رابعاً: محاسبة النفس وتفقد القلب دائماً التي تؤدي إلى كثرة الاستغفار والتوبة، والحذر من كيد الشيطان ومكره.

محاسبة النفس وتفقدها دائماً، ومعرفة كيفية معالجة القلب من هذه الآفات، والشعور بخطر الغفلة عن هذا الأمر، وأكثر ما يجعل أمراض القلوب تتمكن من القلب وتنمو فيها، هو غفلة العبد عن محاسبة نفسه على المظاهر التي يجدها العبد في نفسه، ولا يلتفت إلى معالجتها قبل انتشارها وتمكنها من قلبه، والاهتمام بصلاح الباطن مقدم على صلاح الظاهر، بل لا يصلح الظاهر إلا إذا صلح الباطن يقول صلى الله عليه وسلم : «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

---

(١) يشير بهذا إلى الحديث الذي أتى به في (٦/ ٣٤) من البحر المحيط حيث قال: «كما أخرجه الْعُقيليّ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "خمسٌ مَن جاء بهن مع الإيمان، دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهنّ، وركوعهنّ، وسجودهنّ، ومواقيتهنّ، وأعطى الزكاة من ماله، طَيِّب النفس بها – قال: وكان يقول –: وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمنٌ، وصام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا، وأدى الأمانة، قالوا: يا أبا ذرّ، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها"» ثم قال عن الحديث في نفس هامش الصفحة(٦/ ٣٤): «رواه العقيليّ في "الضعفاء" من رواية عبيد الله بن عبد المجيد الحنفيّ، وقال: لا يُتابع عليه.

لكن الذي يظهر أن تفرّده لا يضرّ؛ لأنه روى عنه جماعة، وأخرج له الشيخان، ووثقه العجليّ، والدارقطنيّ، وابن قانع، وابن حبان..» إلى آخر كلامه رحمه الله.

البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٦/ ٣٤) لمحمد بن علي الإثيوبي الولوي.

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٦/ ٤٢- ٤٣).

وفي الحديث إشارة -كما يقول ابن رجب رحمه الله-: "إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإذا كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقٍ للشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدًا، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب"(١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في بيان موطن نظر الرب ﷻ : «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

خامساً: كثرة التوبة والاستغفار.

ومن الأسباب العظيمة المطهرة للقلب من الآفات وأمراض القلوب كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله الصادقة، يشعر فيها العبد بندمه على ما حصل منه من خلل في داخل قلبه من آفات العجب والرياء والكبر والشح والبخل، وغير ذلك من أمراض القلب وآفاته التي تظهر آثارها على الجوارح فتخل بعبادة العبد، وتضعف في قلبه همة حب عمل الخير .

ويعزم كذلك من قلبه ويعقد العزم بالبعد عن هذه الآفات القلبية، ويجاهد نفسه على التخلص منها، ويستغفر بكثرة مع توبة يحضر القلب عندها، وهو يشعر بحاجته الماسة إلى ربه أن يغفر له خطايا القلب وآفاته، وأن يرزقه قلباً سليماً.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب(١/ ٢١٠).

المبحث الأول: الرياء وحب السمعة و العجب والكبر وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطلبان.

توطئة.

وهذه الآفات القلبية لها خطر عظيم على عبادات المسلم، ومنها عبادة الزكاة والصدقة، فكم من ابتلي بهذه الآفات فأقعدته عن العمل الصالح الذي تيسر له، فيجد نفسه مقيداً عن المسارعة إلى البذل والإنفاق، وتضعف نفسه عن إخراج الزكاة والصدقات، وذلك بأسباب منها وجود هذه الآفات في قلبه، وكل هذه الآثار وغيرها في الدنيا، أما في الآخرة فالخسارة الكبيرة والعقوبة بالنار نسأل الله العافية والسلامة.

تنبيه.

أولاً: سيكون الكلام عن هذه الآفات عاماً.

ثانياً: وسيخصص الحديث عن أثرها على عبادة الزكاة والصدقات في المطلب الثاني.

المطلب الأول: سأقوم بتلخيص ما يتعلق بهذه الآفات المهلكة في المسائل الآتية[1].

المسألة الأولى: الرياء، وفيه فروع.

الفرع الأول: حكمه: الرياء من الشرك الأصغر، وهو أيضًا من الشرك الخفي؛ ولذا كان خطره عظيمًا، وشره مستطيرًا، فلا بد من الحذر منه، والانتباه له لعظيم ضرره.

ومن الأدلة على ذلك:

أ- قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ب- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ت- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

---

(١) العجب والرياء والسمعة وهي آفات قلبية مترابطة بينها تداخل ولهذا آثرت الحديث عنها مع بعضها.

والآيات تدل على عظيم خطر الرياء، وأنه من الشرك، ومن صفات المنافقين، وصاحبه الشيطان قرين له فساء قريناً.

ث- قال سفيان الثوري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]: "ويل لأهل الرياء! ويل لأهل الرياء! هذه آيتهم وقصتهم"(١).

ج- وقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»(٢).

- وذكر الخطابي رحمة الله في معني الحديث: أن من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جزاه الله على ذلك بأن يشهره ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه(٣).
- وأضاف ابن حجر إلى ما ذكره الخطابي، فقال: "وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، و لم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة ومعنى «يرائي»: يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه"(٤).

ح- وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»(٥).

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له عن جندب ﷺ (٨/ ١٠٤) ح (٦٤٩٩)، ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٦).

(٣) ينظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي(٣/٢٢٥٧).

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٥) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٣-٤٤) ح (٢٣٦٣٦)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤) ح (٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٢) ح (٣٧٥): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في

خ- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].

- وذكر الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في شرحه على التوحيد أن الرياء على درجتين:

الأولى: رياء المنافقين؛ بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ لأجل رؤية الخلق، وهذا مناف للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله، وقد وصف المنافقين بقوله: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]، فقوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الرياء الأكبر الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

الثانية: وهو أن يرائي المسلم بعمله أو ببعض عمله، فهذا شرك خفي ينافي كمال التوحيد[2].

الفرع الثاني: صور من الرياء عند من ابتلي به[3]:

١- ينشط في العبادة إذا رآه الناس، ويحسنها ويتقنها من أجل شعوره برؤية الناس له، كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[4].

صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٠) ح (٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٩/ ٤٤) ح (٢٣٦٣٦): "إسناده حسن".

(١) أخرجه مسلم(٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥).

(٢) ينظر: التمهيد (٣٩٦).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧)، نضرة النعيم (١٠/ ٤٥٥٣)، الإخلاص حقيقته ونواقضه (٣٣٦-٣٣٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٦٥) ح (٧٩٣٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٣٦) ح (١٥٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٩) ح (٣٠).

٢- يحافظ على البعد عن محارم الله إذا كان الناس يرونه، وإذا خلا بمحارم الله انتهكها؛ لأنه لا ينتهي عن المحارم إلا مخافة من الناس، ولهذا عقوبته عظيمة، كما في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

وهذا يحصل من البعض، تجده ينتهك محارم الله إذا خلا بجواله أو جهاز حاسبه أو بالقناة الفضائية التي تعرض ما حرم الله، ولو أن أحداً يطلع عليه لما فعل ذلك واستحى من الناس، لكنه لا يستحي من الله.

٣- يطلب العلم وهمه أن يرى تعظيم الناس له، وقضاء حاجاته، وتقديمه في المجالس.

٤- الرّياء بالقول، وهو أن يقوم بهذه الأعمال من أجل الناس، ويكون مهتمًّا بالوعظ والتّذكير والنّطق بالحكمة، وحفظ الأخبار والآثار؛ لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشّفتين بالذّكر في محضر النّاس، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أمامهم لأجل سماع مدح الناس له، وإن كان له تعلق وثيق بالسمعة كما سيأتي.

٥- المراءاة بالأصحاب والزّائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إنّ فلانًا قد زار فلانًا، ومن ذلك كثرة ذكره للشّيوخ الذين قابلهم وزارهم، ويحرص على إظهار ذلك للناس من خلال الوسائل المتاحة له، لا لأجل الاقتداء ونشر الخير، وإنما لأجل أن يشعر الناس بمكانته.

الفرع الثالث: خطر الرياء[1]:

١- نفور الناس منه.

٢- خذلان الله له وقلة توفيقه.

---

(١) ينظر: نضرة النعيم(١٠/ ٤٥٦٧).

٣- تسلط الأعداء عليه من شياطين الإنس والجن.

٤- يحبط أعماله ويترع الله منها البركة.

٥- لا يسلم المرائي من أن يفضح الله أمره في الدّنيا، ويظهر عيوبه، فيسقط من أعين النّاس وتذهب هيبته، ناهيك عن حسرته يوم القيامة.

٦- من يرائي بالأعمال الصالحة أول من تسعر به النار، كما في الحديث أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قال فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ

المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟! ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]"[1].

(١) أخرجه الترمذي(٤/ ٥٩١) ح (٢٣٨٢)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٦) ح (٤٠٨)، والحاكم(١/ ٥٧٩) ح (١٥٢٧) وصححه وأقره الذهبي، وابن خزيمة (٢/ ١١٨٨) ح (٢٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٤) ح (٢٢)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (٢/ ١٣٧) ح (٤٠٨).

المسألة الثانية: السمعة، وفيها فروع.

الفرع الأول: الفرق بينها وبين الرياء وحكم السمعة.

إن السمعة تتعلق بحاسة السمع[1]، والرياء يتعلق بحاسة البصر[2]. وكلاهما بمعنى متقارب في نتيجة الحكم عليهما كما سيأتي.

حكم السمعة: السمعة حكمها كحكم الرياء، فكل ما ورد في الرياء من الأدلة يرد فيها، وقد جاء في السنة ما يبين عظيم خطرها، ومن ذلك:

قول النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

عن جندب ﷺ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديث[3].

وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ[4].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ»[5].

---

(١) أي: الأعمال التي تسمع من تلاوة أو ذكر أو دعاء ونحو ذلك؛ لأجل سماع مدح الناس.

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري(٩/ ٦٤) ح (٧١٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (١١/ ٤٣٠) ح (٦٨٣٩)، وقال في مجمع الزوائد(١٠/ ٢٢٢) ح (١٧٦٦٠): "رجال أحمد، وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح"، وقال محقق المسند (١١/ ٤٣٠) ح(٦٨٣٩): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٧) ح (٢٥)، وقال محقق المسند (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

وحكمها حكم الرياء، وبالذات حينما تقارن العمل.

قال ابن حجر رحمه الله: "والسمعة.. مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بعد أن ذكر تعريف الرياء: "ويدخل في ذلك من عمل العمل ليسْمَعَه الناس"[2].

الفرع الثاني: ما يستثنى من السمعة.

ويستثنى من السمعة المحرمة ما يعمله الإنسان المقتدى به، فيظهر العمل ليقتدي به الناس، بشرط أن يحرص على سلامة نيته من مقصد السمعة المذمومة، وذلك بحبه لسماع ثناء الناس ومدحهم.

وقال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث[3] استحباب إخفاء العمل الصالح، لكن قد يستحب إظهاره ممن يقتدى به على إرادته الاقتداء به، ويقدر ذلك بقدر الحاجة، قال ابن عبد السلام: يستثنى من استحباب إخفاء العمل من يظهره ليقتدى به، أو لينتفع به ككتابة العلم[4]، ومنه حديث سهل الماضي في الجمعة: «لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي»[5] قال الطبري: كان ابن عمر وابن مسعود وجماعة من السلف يتهجدون في مساجدهم ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم ليقتدى بهم، قال: فمن كان إمامًا يستن بعمله عالمًا بما لله عليه قاهرًا لشيطانه استوى ما ظهر من عمله وما خفي؛ لصحة قصده، ومن كان بخلاف ذلك، فالإخفاء في حقه أفضل، وعلى ذلك جرى عمل السلف، فمن الأول حديث حماد

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٦)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٢٤).

(٣) يقصد ابن حجر رحمه الله حديث: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ فيما تيسر لي من كتب العز بن عبد السلام، ووجدت قريباً منه في كتابي: الفوائد ومقاصد الرعاية له رحمه الله.

ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد(١٢٥-١٢٧) ، مقاصد الرعاية لحقوق الله(٩٨) كلاهما للعز بن عبد السلام.

(٥) وهو في مسلم (١/ ٣٨٦) (٥٤٤).

بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يقرأ ويرفع صوته بالذكر، فقال: "إِنَّهُ أَوَّابٌ" قال: فإذا هو المقداد بن الأسود أخرجه الطبري[1].

ومن الثاني حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قام رجل يصلي، فجهر بالقراءة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسمعني، وأسمع ربك» أخرجه أحمد[2]، وابن أبي خيثمة، وسنده حسن"[3].

الفرع الثالث: من مظاهر السمعة عند من ابتلي بها[4].

١- ما ورد من مظاهر في الرياء وما سيرد في العجب كلها متقاربة.

٢- كثرة إطراء النفس والحديث عنها.

٣- التمطيط في قراءة القرآن وإخراجها عن الحد المشروع في القراءة، وذلك من أجل سماع ثناء الناس ومدحهم له.

٤- لا يحب سماع الناصح، ويرى أنه يترل من قدره.

٥- إذا ألقى درسًا أو موعظة ولم يلق مدحًا ولا ثناء يغضب في داخل نفسه، وربما لا يواصل درسه أو مواعظه في نفس المكان.

٦- كثير النقد والاعتراض على الآخرين.

---

(١) لم أقف عليه فيما تيسر من مصادر، ولكني وجدت قريبًا منه في مسند أحمد (٣١/ ٣٠٦) ح (١٨٩٧١) ولفظه: عَنِ ابْنِ الْأَدْرَعِ قَالَ: كُنْتُ أَحْرُسُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَخَرَجَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، قَالَ: فَرَآنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا، فَمَرَرْنَا عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَسَى أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَرَفَضَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الْأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ»، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا أَحْرُسُهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَرَرْنَا عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلَّا إِنَّهُ أَوَّابٌ»، قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ. وقال في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٩) ح (١٥٩٨٢): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٨٥) ح (١٧٠٩)، والحديث ضعف إسناده محقق المسند (٣١/ ٣٠٦) ح (١٨٩٧١).

(٢) مسند أحمد (١٤/ ٧٢) ح (٨٣٢٦).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٧).

(٤) الأخلاص حقيقته ونواقضه(٣٦٨-٣٧٠).

٧- يتصيد الأخطاء ويفرح بها، ويضخمها وهي صغيرة؛ ليشعر من يسمعه أنه عنده غيرة على الدين.

تنبيه مهم:

أما ما يسمعه الإنسان عنه من ثناء حسن من غير قصد لذلك، وتطلع إليه، فلا يدخل في السمعة المذمومة؛ لأن هذا مما استثناه الحديث، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»(١).

نقل النووي كلام العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» فقال رحمه الله: "قال العلماء: معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث(٢)، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم"(٣).

قال السيوطي رحمه الله: "قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» أي: هذه البشرى المعجلة دليل للبشرى المؤخرة إلى الآخرة"(٤).

الفرع الرابع: خطر السمعة.

يقال هنا ما قيل في خطر الرياءلتقارب الآفتين، ويضاف ما ورد في الحديث: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَة» الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) ح (٢٦٤٢).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»، وحديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٣٧٩) ح (٢١٤٧٧)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٥/ ٣٧٩) ح (٢١٤٧٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٨٩).

(٤) شرح السيوطي على مسلم (٥/ ٥٥٦).

يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ الراوي: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

ففي هذين الحديثين بيان عقوبة من يقع في السمعة في الدنيا والآخرة.

وذكر أهل العلم[1] في شرح هذا الحديث عدة معان تدل على خطورة السمعة، ودونك أهمها:

١- أنه إذا عمل يريد سماع ثناء الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره، سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه.

٢- يفضحه الله في الدنيا ويظهر ما كان يبطنه ويخفيه عن الناس.

٣- وقيل: إذا أراد بالسمعة الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة.

٤- وقيل: المعنى: من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمعه المكروه.

٥- وقيل: المعنى: من نسب إلى نفسه عملًا صالحًا لم يفعله وادعى خيرًا لم يصنعه، فإن الله يفضحه ويظهر كذبه.

---

(١) ينظر في ذلك: شرح النووي على مسلم (١٨/ ١١٦)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٦-٣٣٧).

المسألة الثالثة: العُجْبُ، وفيه فروع.

الفرع الأول: من أقوال العلماء في معنى العجب.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله عن العجب: "أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك"(١).

وقال الغزالي رحمه الله عن العجب: "استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم"(٢).

وقال أبو العباس القرطبي: "إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله تعالى"(٣).

وقال الجرجاني: "العجب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًّا لها"(٤).

ومن خلال ما سبق يتضح أن العجب مرتبط بالنفس، وهو أن يرى بأن عنده ما ليس عند غيره، وملاحظته لنفسه بعين الكمال والاستحسان، مع نسيان أن المنعم عليه هو الله تعالى.

الفرع الثاني: حكم العجب.

دلت نصوص الكتاب والسنة على تحريم العجب، ومن ذلك:

قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك للناس؛ تكبُّرًا عليهم وتعاظمًا. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي:

---

(١) شعب الإيمان (١٠/ ٥١٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم(٥/٤٠٦).

(٤) التعريفات (١٤٧).

بطرًا، فخرًا بالنعم، ناسيًا المنعم، معجبًا بنفسك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾في نفسه وهيئته وتعاظمه، ﴿فَخُورٍ﴾ بقوله"[1].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم -أَوْ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم-: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أنس ﷺ: «ثلاث مهلكات..»، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «وأمّا المهلكاتُ: فَشُحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، إعجابُ المرءِ بنفسِه".

وعَن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ: الْعُجْبَ»[3].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ -وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ- «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[4].

ودلت هذه النصوص على أن العجب محرم ومن كبائر الذنوب، بل عده شيخ الإسلام رحمه الله من الشرك، فقال: "وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، فمن

---

(١) تفسير السعدي (٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٧/ ١٤١) ح (٥٧٨٩)، ومسلم (٣/ ١٦٥٤) ح (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٣٢٦) ح (٦٩٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣٩٩) ح (٦٨٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٩) ح (١٧٩٤٨): "رواه البزار، وإسناده جيد"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٨) ح (٥٣٠٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٢٤٣-٢٤٤) ح (١٢٨٨٦)، وأبو يعلى (٧/ ١١٦) ح (٤٠٦٦)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (٤/ ٥١٩) ح (١٨٩٥): "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم"، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٢٠/ ٢٤٤) ح (١٢٨٨٦): "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وقال محقق مسند أبي يعلى (٧/ ١١٦) ح (٤٠٦٦): "إسناده صحيح".

حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب"[1].

مما يدل على خطر العجب على الأمة، وأثره العظيم في حصول الهزيمة، ما ذكره الله في تعقيبه على غزوة حنين وهو يربي الأمة على الحذر من هذه المسالك، حينما حصل هزيمة في أول المعركة بسبب العجب بالكثرة وتعلق القلب بها، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وكان من أسباب الخلل والهزيمة العجب الذي أدى إلى ركون القلب إلى الكثرة والاعتداد بها بأنهم لن يهزموا، وغفلوا عن أن النصر من الله، وليس بالكثرة ولا بالقوة المادية، فأصابهم الخذلان، ولم تغن عنهم الكثرة شيئًا، فحصلت الهزيمة والفرار في أول المعركة من هؤلاء، وثبّت الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، ونصرهم في نهاية المعركة، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).

الفرع الثالث: من أقوال السلف في التحذير من العجب.

- قال علي بن أبي طالب ﷺ: "الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب"(١).

- وعن كعب ﷺ أنه قال لرجل رآه يتبع الأحاديث: "اتق الله، وارض بالدون من المجلس، ولا تؤذ أحدًا، فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالًا ونقصانًا"(٢).

- وقال أبو الدرداء ﷺ: "علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه"(٣).

- وعن مسروق رحمه الله قال: "كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلًا أن يعجب بعمله"(٤).

- وقال أبو وهب المروزي رحمه الله: "سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن، تزدري الناس. فسألته عن العجب، قال: أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًّا من العجب"(٥).

- وعن خالد بن يزيد بن معاوية رحمه الله قال: "إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا بنفسه، فقد تمت خسارته"(٦).

- وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول: "إياكم والعجب؛ فإن العجب مهلكة لأهله، وإن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"(٧).

وقيل لعبد الله بن المبارك: ما الذنب الذي لا يغفر؟ قال: "العجب"(٨).

ويقصد ابن المبارك رحمه الله أن العجب من الكبائر التي لا تغفر إلا بالتوبة.

---

(١) أدب الدين والدنيا (٢٣٧).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٣٧٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

(٦) مساوئ الأخلاق (٢٦٣).

(٧) شعب الإيمان (٩/ ٣٩٥).

(٨) شعب الإيمان (٩/ ٣٩٦).

الفرع الرابع: صور من العجب عند المبتلى به[1].

١- كثرة الحديث عن نفسه ومنجزاته وأعماله إما تصريحًا أو تلميحًا.

٢- حبه ونشاطه في الأعمال التي فيها ظهور أمام الجمهور، وفي المقابل البعد أو الكسل عن الأعمال التي لا يراه فيها الناس؛ لأن الظهور أمام الناس يلبي رغبة العجب التي في نفسه.

٣- يحب من يقدمه ويثني عليه، وينفر من الذين لا يثنون عليه، ولا يحب النشاط في هذه الأماكن التي لا يثنى عليه فيها.

٤- الضيق والتبرم من النصيحة، والبعد عن الناصحين.

٥- حبه للتصدر وحرصه عليه قبل أن يتأهل لذلك.

٦- الفرح بذكر أو سماع عيوب إخوانه؛ مما يؤدي به إلى البحث والتنقيب عن عيوبهم، ونسيان عيوب نفسه، وهو يظن أنه بذلك يظهر قدرته العلمية.

٧- عدم استشارة أهل العلم، معتدًّا برأيه، ويظن أنه ليس بحاجة إلى استشارة أحد لكمال عقله.

---

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (٢٣٤)، مقال بعنوان العجب داء القلوب الخفي في موقع المسلم على الشبكة، الإخلاص حقيقته ونواقضه (٤٨٦-٤٨٧)، نضرة النعيم (١١/ ٥٣٨٠).

الفرع الخامس: خطر العجب.

العجب له خطر عظيم عليه في نفسه، وعلى ما يقوم به، ومن ذلك:

١- نفور الناس منه.

٢- سبب للكبر والغرور والتعالي على الناس.

٣- سبب للرياء والسمعة.

٤- سبب للخذلان وقلة التوفيق.

٥- نسيان الذنوب والتمادي في التقصير، ولا يوفق للتوبة.

٦- الإصرار على الأخطاء، وعدم سماع العلماء الناصحين اعتدادًا برأيه.

المسألة الرابعة: الكبر، وفيه فروع.

الفرع الأول: الكبر من أمراض القلوب وآفاتها المهلكة للعبد، فلابد أن يحرص على سلامة قلبه سلامة تامة منه لخطره، ومما يدل على عظيم خطره أن وجود مثقال ذرة منه يكون سبباً لعدم دخول الجنة، فكيف بما هو أكبر من ذلك؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(١).

ومعنى الكبر كما وضحه الحديث أي: رد الحق وعدم قبوله واحتقار الناس.

وهذه بعض الفوائد والتنبيهات حول هذا المرض المهلك:

١- الكبر مرض قلبي خطير يدمر من وجد فيه ويورده المهالك.

٢- التحذير من الكبر ودواعيه، وبيان مخاطره على العبد من الأمور التي ينبغي أن يعتني بها المربون الناصحون.

٣- من مظاهر الكبر رد الحق وعدم قبوله بسبب كرهه للحق وأهله، وذلك من أعظم أسباب دخولهم النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

٤- من مظاهر الكبر احتقار الناس والتعالي عليهم والنظر لهم بازدراء.

٥- احتقار الناصح والنفور من نصح الناصحين من دلائل وجود نوع من الكبر في القلب.

٦- توعد الله أن يصرف القلوب المتكبرة عن فهم آياته الكونية والمتلوة قال تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٣) ح(٩١).

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٧- من أسباب نفور الناس عن الخير وصدهم عنه، شعورهم بعدم تواضع من يدعوهم إليه.

الفرع الثاني: حكم الكبر.

جاءت النصوص بالتحذير والتنفير منه.

- قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠].
- وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
- وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥].

وكل هذه الآيات تبين خطورة هذا الذنب العظيم، وقبحه وعظيم حرمته عند الله، وأثره على من يقع فيه.

- قال القرطبي رحمه الله: "﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يختم ﴿ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق"[(١)].
- وقال تعالى عن قول قوم صالح لمن آمن منهم: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٣).

بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

وقال السعدي رحمه الله: "حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء"(١).

■ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

■ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»(٢).

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: "فالضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه» ومعنى «ينازعني»: يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه"(٣).

■ وعن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»(٤).

وقال النووي رحمه الله: "أما العُتُل.. فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ، وأما الجَوَّاظ.. فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في

(١) تفسير السعدي (٢٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣) ح (٢٦٢٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٠) ح (٢٨٥٣).

مشيته، وقيل: القصير البطين.. وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر، وهو بطر الحق وغمط الناس"[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مفصلًا القول في حكم الكبر: "فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، ولا يحبط العمل إلا بالكفر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأما إذا كان كبرًا على الخلق وتعاظمًا على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولًا كاملًا مطلقًا لم يسبق بعذاب؛ بل لا بد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة"[2].

وبهذا يتضح أن منه ما هو كفر أكبر يخلد في النار، ومنه ما هو كبيرة من الكبائر وصاحبه على خطر عظيم.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٨).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤١-٥٤٢).

الفرع الثالث: صور من الكبر عند من ابتلي به.

١- رد الحق وعدم قبوله بحجج واهية ظاهرها شيء قد يقبل عند الناس، وباطنها الكبر، منها بحجة أنهم أقل علمًا، أو أصغر سنًّا، أو لا يملكون خبرة كافية ونحو ذلك من الحجج، التي يبرر بها رده للحق.

٢- احتقار الناس وازدراؤهم، والتعالي عليهم بنسبه أو بمنصبه أو بشهادته العلمية أو بماله ونحو ذلك.

٣- النفور من مجالسة الفقراء والمساكين وعامة الناس بحجة أن ذلك يسقط هيبته ومكانته العلمية.

الفرع الرابع: خطر الكبر.

١- انفضاض الناس من حوله، ونفورهم منه.

٢- الذل والهوان والخذلان وقلة التوفيق وتسلط الشياطين في الدنيا.

٣- الذل والهوان في الآخرة ودخول أشد العذاب في النار، كما في الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦٠) ح (٦٦٧٧)، والترمذي (٤/ ٦٥٥) ح (٢٤٩٢) وقال: "حديث حسن"، وقال البغوي في شرح السنة (١٣/ ١٦٧) ح (٣٥٩٠): "هذا حديث حسن"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٧) ح (٢٩١١) وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ح (٦٦٧٧).

المطلب الثاني: أثر الرياء والسمعة والعجب والكبر على عبادة الزكاة والصدقة.

إضافة إلى ما سبق ذكره من هذه الآثار.

١- ثقل الصدقة عليه ونفوره منها.

٢- نفوره من الفقراء والمساكين وتجنبهم والتعالي عليهم بسبب الكبر الذي في قلبه.

٣- حرصه وحبه لسماع ثناء الناس عليه بكثرة صدقاته.

٤- نشره لصدقاته بين الناس وإظهارها لا لأجل أن يقتدوا به، وإنما ليمدحوه.

٥- لا يتصدق مرة أخرى على من لا يثني عليه، ويشكره، ولو كان المتصدق عليه محتاجاً، ومن أهل الزكاة.

٦- لا يحب صدقة السر ولا يحرص عليها؛ لأنه يبحث عن ثناء الناس.

المبحث الثاني : البخل والشح وآثارها، وفيه مطلبان.

وكما سبق التنبيه في المطلب السابق، سيكون الكلام على هذين الخلقين الذميمين بصورة عامة أولاً في المطلب الأول، وبيان أثر الشح والبخل على عبادة الزكاة والصدقة في المطلب الثاني.

المطلب الأول: الشح والبخل[1].

والشح والبخل خلقان ذميمان لهما ارتباط وثيق بالقلب، يوقعان العبد في الإثم، ويجعلانه يقبض يده عن الزكاة والصدقة، ودونك بعض النصوص في التحذير منهما:

قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال السعدي في تفسيره:" أي: جبلت النفوس على الشح، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعاً، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلُق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحق الذي لك.

فمتى وفق الإنسان لهذا الخُلُق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر"[2].

---

(١) الشح أشد البخل، فهو بخل مع حرص.

ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٧٨)، المفردات في غريب القرآن (٤٤٦)، لسان العرب (٢/ ٤٩٥) مادة (شح).

وقال الخطابي رحمه الله في التفريق بين البخل والشح: "الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشح بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال البخل إنما هو في إفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام وهو كالوصف اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبلة. وقال بعضهم: البخل أن يضن بمال، والشح أن يبخل بماله وبمعروفه". معالم السنن (٢/ ٨٣-٨٤).

(٢) تفسير السعدي(٢٠٧).

وقال تعالى:﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] .

وقال السعدي عند قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]: " ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في مخالفة ذلك.

ولكن ثم آفة تمنع كثيرًا من الناس، من النفقة المأمور بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة.

فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قِبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفسًا سمحة، مطمئنة، منشرحة لشرع الله، طالبة لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مرضٍ لله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز"[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» الحديث[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا» الحديث[(٣)].

ويقول صلى الله عليه وسلم: «وَإِيَّاكُمْ والشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا» الحديث[(١)].

---

(١) تفسير السعدي(٨٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٦) ح (٢٥٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٥/٤٣٣) ح (٩٦٩٣)، والنسائي(٦/١٣) ح (٣١١٠)، وابن حبان في صحيحه(٨/٤٣) ح (٣٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٢٦٢) ح (٧٦١٦)، وصححه بمجموع طرقه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ح (٩٦٩٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ كثيرًا من مجموعة من الأخلاق السيئة منها البخل، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ»، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[٢].

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦) ح (٦٤٨٧)، وأبو داود (٢/ ١٣٣) ح (١٦٩٨)، وابن حبان في صحيحه(١١/ ٥٧٩) ح (٥١٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٧٠١) ح (٢٦٠٤)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ح (٦٤٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٦) ح (٢٨٩٣).

المطلب الثاني: أثر الشح والبخل على عبادة الزكاة والصدقة.

١- ثقل هذه العبادة عليه، ونفوره منها.

٢- عدم إخراجه للزكاة المفروضة والبحث عن المخارج والحيل للتخلص من إخراجها.

٣- البحث عن الاعذار الواهية للتخلص من الإنفاق والبذل.

٤- كثرة الاعتذار بحاجاته وحاجات أولاده، وهو غير صادق في ذلك، إنما يسوقه لذلك البخل والشح الذي سيطر على قلبه.

المبحث الثالث: حب الدنيا وتعلق القلب بها وآثاره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: حب الدنيا وتعلق القلب بها، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: حب الدنيا الفطري الطبعي، وهذا الجائز، ولا يدخل في موضوعنا.

"مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ"(١).

وأخرج عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ»(٢).

هذه هي المحبة الفطرية الجبلية كما وردت في النصوص الشرعية"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٨٩) ح(٦٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٩٠)ح(٦٤٢١).

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (ص٣٤).

المسألة الثانية: حب الدنيا وتعلق القلب بها المذموم، الذي يؤدي بالعبد إلى الشح والبخل، ويمنعه من إخراج الزكاة والصدقة، ويؤدي به إلى الغفلة، وهو الذي جاءت النصوص بالتحذير منه، وقد سبق الكثير من الأدلة في التحذير من ذلك، وأضيف هنا:

يقول تعالى في التحذير من الغفلة عن الإنفاق في مجالات البر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١]

وقال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

ولقد حذر النبي ﷺ أمته من خطر التعلق بالدنيا والمنافسة عليها، وبين ﷺ أثر التنافس على الدنيا، وأن نتيجته الهلاك في أودية الدنيا وشعابها، والإلهاء عما خلقوا له، فعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَوَاللهِ، مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[(١)]، وفي رواية للبخاري: «وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم»[(٢)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْب أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٨٤) ح (٤٠١٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٣) ح (٢٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٩٠) ح (٦٤٢٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤) ح (٥)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٠٢) ح (٦٨٨)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (١/ ٥) ح (٥).

المطلب الثاني: آثار حب الدنيا وتعلق القلب بها على عبادة الزكاة والصدقة.

١- حصول آفة البخل والشح في القلب.

٢- غفلة القلب عن الإنفاق في مجالات الخير، وتعلقه بالمال الذي يحول بينه وبين الانفاق حتى تنزل به مصيبة الموت، وهو على ذلك، وقد حذر الله من ذلك، فقال تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

٣- منع حق الله في المال بسبب تعلق القلب بالدنيا وافتتانه بها.

المبحث الرابع: المن والأذى وآثاره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: المن والأذى، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: معنى المن والأذى في الصدقة.

المن في الصدقة معناه: من المنة والامتنان، وهو ذكر المال التي تصدق به على معنى التعديد والتقريع، فيقول أحسنت إليك، وتصدقت عليك، واعطيتك من المال كذا وكذا، فيظهر بمظهر المترفع على المنفق عليه، ويتطاول عليه بسبب نفقته عليه.

وأما الأذى في الصدقة فهو: السب والتشكي، أي أذى المنفَق عليه بأن يقول المنفِق: لقد أنفقت على فلان كذا، وكذا أمام الناس؛ فإن هذا يؤذي المنفق عليه، والأذى أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه[1].

المسألة الثانية: الأدلة في التحذير من المن والأذى.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ * قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٢-٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»[2].

---

(١) ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه (ص٢٨١)، تفسير القرطبي(٣/ ٣٠٨)، شرح القسطلاني على البخاري(٣/ ٣٢)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٣١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧١)ح(١٠٦).

المطلب الثاني: آثار المن والأذى على عبادة الزكاة والصدقة.

١- بطلان الصدقة وعدم قبولها من الله كما نصت على ذلك الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٢- المنان معرض للعقوبة التي سبق ذكرها في الحديث: لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

٣- تأصل آفة الشح والبخل في القلب يؤدي إلى المن والأذى.

المبحث الخامس: قلة الورع وخطره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: قلة الورع، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: تعريف الورع.

قال عنه شيخ الإسلام: "وأما الورع فإنه الامساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات؛ لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يواقعه"(١).

وقال ابن القيم في معناه: "يعني أن يتوقى الحرام والشبه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي"(٢).

وقال الجرجاني: "الورع هو: اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات"(٣).

المسألة الثانية: معنى قلة الورع في الصدقة خاصة.

هو الذي يستولي على حق الله في المال من زكاة وصدقة، ولا يبالي بحرمة ذلك، ولا يتورع عن الشبهات في التعامل مع المال.

المسألة الثالثة: الورع في السنة.

ورد الورع في نصوص السنة، ومن ذلك:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ -وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ-: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ

---

(١) الزهد والورع والعبادة (٥٠) لابن تيمية.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥).

(٣) التعريفات (٢٥٢).

مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

قال الخطابي رحمه الله: "هذا الحديث أصل في الورع وفيما يلزم الإنسان اجتنابه من الشبهة والريب"(٢).

وعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»(٣).

ودل الحديث على مكانة الورع، وأنه خير الدين، فعلى المسلم الموفق الحرص على هذا العمل القلبي العظيم والتخلق به.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ: «يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»(٤).

قال ابن رجب رحمه الله: "ومن أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم واللفظ له (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩).

(٢) معالم السنن (٣/ ٥٦).

(٣) أخرجه الحاكم(١/ ١٧٠) ح (٣١٤)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٠) ح (١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٧٦) ح (٤٢١٤).

(٤) أخرجه مسلم(٢/ ٧٠٣) ح (١٠١٥).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٠).

وعَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[1].

وعلق ابن رجب على هذا الحديث فقال: "وهذا هو الورع، وبه يحصل كمال التقوى"[2].

وهذا الحديث قاعدة عظيمة في الور

المسألة الرابعة: أقوال العلماء في الورع.

عن عمر رضي الله عنه قال: "بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح"[3].

وقال رضي الله عنه: "أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله عز وجل"[4].

وقال حسان بن أبي سنان رحمه الله: "ما شيء أهون من الورع، إذا رابك شيء فدعه"[5].

وعلق ابن رجب رحمه الله على مقولة حسان فقال: "وهذا إنما يسهل على مثل حسان رحمه الله"[6].

وقال الشافعي رحمه الله: "أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف"[7].

وعن الضحاك قال: "لقد رأيتنا وما يتعلم بعضنا من بعض، إلا الورع"[8].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: "أفضل العبادة التفكر والورع"[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٨) ح (٢٥١٨)، وقال: "وهذا حديث صحيح"، والنسائي واللفظ له (٨/ ٣٢٧) ح (٥٧١١)، وصححه الحاكم(٢/ ١٥) ح (٢١٦٩) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٦٣٧) ح (٣٣٧٧).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٢٦).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٦).

(٤) لم أعثر عليه في كتاب الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا طبعة دار البشائر، ت: إياد الطباع، ط١، ١٤١٣ه، وقد نقله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٦) ونسبه إليه.

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠).

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠).

(٧) صفة الصفوة (١/ ٤٣٥)، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٨).

(٨) الورع لابن أبي الدنيا (٥١).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله عن الورع: "اجتناب المحارم"[٢].

وقال الفضيل أيضًا: "أشد الورع في اللسان"، وأثر هذا عن عبد الله بن المبارك عليه رحمة الله[٣].

وعن طاووس رحمه الله قال: "مثل الإسلام كمثل شجرة، فأصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا شيء سماه، وثمرها الورع لا خير في شجرة، لا ثمر لها، ولا خير في إنسان، لا ورع له"[٤].

(١) الورع لابن أبي الدنيا (٥٣).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (٦٠).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا (٧٧).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٩).

المطلب الثاني: خطر قلة الورع على عبادة الزكاة والصدقة.

١- عدم التورع عن المشتبهات في أمور أموال الزكاة والصدقة.

٢- الاستيلاء على حق الله في المال، وعدم إخراج الزكاة بحجج وأعذار واهية، تنم عن ضعف في الورع.

الباب الرابع: أحكام عامة متعلقة بالزكاة والصدقة لها صلة وثيقة بالقلب، وفيه عدة مباحث.

توطئة.

هذه الأحكام العامة المتعلقة بالمال وعبادة الزكاة لها علاقة بالقلب؛ لأنه كما مر معنا مراراً أن القلب هو المحرك للجوارح، قال صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

المبحث الأول: منهج الإسلام في التعامل مع الدنيا بما فيها من أموال ومتاع.

علاقة المسلم بالدنيا من خلال الميزان الشرعي الصحيح، الذي يحرص المسلم على تطبيقه في حياته، وذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: القلب لا يتعلق إلا بالله وحده، ويكون همه الآخرة.

وسبقت النصوص في بيان أنه لا ينبغي أن تتعلق القلوب بالدنيا، بل تتعلق بالله وحده لا شريك له، وكذلك ينبغي أن يكون هم العبد الآخرة.

المطلب الثاني: قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٧٧].

قال السعدي رحمه الله في معنى الآية: " ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعًا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ بهذه الأموال، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي

الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة"[1].

المطلب الثالث: أن يأكل العبد ويشرب ويلبس مما أباح الله له من غير إسراف ولا كبر،

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣١، ٣٢].

قال الشوكاني رحمه الله في معنى الآيات السابقة: "هذا خطاب لجميع بني آدم وإن كان واردًا على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والزينة: ما يتزين به الناس من الملبوس، أمروا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف.

وقد استُدل بالآية على وجوب ستر العورة في الصلاة، وإليه ذهب جمهور أهل العلم، بل سترها واجب في كل حال من الأحوال وإن كان الرجل خاليًا كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة..

قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ أمر الله ﷻ عباده بالأكل والشرب، ونهاهم عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه وهو من أهل النار، كما صح في الأحاديث الصحيحة[2]، والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه وعلى من يعول مخالفٌ لما أمر الله به وأرشد إليه، والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده، واقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالًا أو حلل حرامًا، فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين. ومن الإسراف الأكل لا لحاجة، وفي وقت شبع.

---

(١) تفسير السعدي (٦٢٣).

(٢) كما في صحيح مسلم (١/ ١٠٥)ح(١١٠) قال ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّم».

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الزينة: ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها، وقيل: الملبوس خاصة، ولا وجه له، بل هو من جملة ما تشمله الآية، فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة و لم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطًا بينًا.. وهكذا الطيبات من المطاعم والمشارب ونحوهما مما يأكله الناس، فإنه لا زهد في ترك الطيب منها، ولهذا جاءت الآية هذه معنونة بالاستفهام المتضمن للإنكار على من حرم ذلك على نفسه أو حرمه على غيره"[1].

(١) فتح القدير (٢/ ٢٢٨).

المطلب الرابع: الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ[1]»[2].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ؛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ»[3].

المطلب الخامس: نعم المال الحلال للرجل الصالح، يستعين به على أمر دينه ودنياه، قَالَ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»[4].

---

(١) من الخيلاء وهو الكِبْر.

ينظر: الصحاح (٤/ ١٦٩١) مادة (خيل).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٢٩٤) ح (٦٦٩٥)، والبخاري معلقًا(٥/ ٧٩) ح (٢٥٥٩)، وابن ماجه واللفظ له(٢/ ١١٩٢) ح (٣٦٠٥)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٥٢) ح (٤٣٨١)، وحسن إسناده محقق المسند (١١/ ٢٩٥) ح (٦٦٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٣١٢) ح (٦٧٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٠) ح (٧١٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال محقق المسند (١١/ ٣١٢) ح (٦٧٠٨): "إسناده حسن".

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/ ٢٩٩) ح (١٧٧٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٢) ح (٢٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٦) ح (٣٢١٠)، ومسند أبي يعلى (١٣/ ٣٢٠) ح (٧٣٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣) ح (٢١٣٠) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد(٩/ ٣٥٣) ح (١٥٨٩٧): "ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٢٦) ح (٢٢٩)، وقال محقق المسند (٢٩/ ٢٩٩) ح (١٧٧٦٣): "إسناده صحيح على شرط مسلم".

المطلب السادس: إن الذي يسعى على الأرملة، والمسكين، وعلى الأبوين الكبيرين، ويجلب الرزق لأطفاله، ويسعى لإعفاف نفسه يعتبر عمله عبادة، وهو من المجاهدين في سبيل الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»(١).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رجلٌ فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ من جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يعفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»(٢).

وعن عمر ﷺ قال: "ما جاءني أجلي في مكان ما عدا الجهاد في سبيل الله أحب إلي من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحلي، أطلب من فضل الله"، وتلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠](٣).

وعَن ابْن مَسْعُود ﷺ: "أَيّمَا رجلٍ جلبَ شَيْئًا إِلَى مَدِينَةٍ من مَدَائِن الْمُسلمين صَابِرًا محتسبًا فَبَاعَهُ بِسعْرِ يَوْمِهِ كَانَ عِنْدَ اللهِ من الشُّهَدَاءِ"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٩) ح (٦٠٠٧)، ومسلم واللفظ له (٤/ ٢٢٨٦) ح (٢٩٨٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢٩) ح (٢٨٢)، والمعجم الصغير (٢/ ١٤٨) ح (٩٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٥) ح (٢٦١٠) وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح"، وقال في مجمع الزوائد(٤/ ٣٢٥) ح (٧٧٠٩): "رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠٦) ح (١٦٩٢): "صحيح لغيره".

(٣) شعب الإيمان (٢/ ٤٥٠)، وكنز العمال (٤/ ١٢٣).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٥/ ٦١٣) ح (٤٥٧٠) مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥١٦)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١/ ٦٩٤) ح (٥٤١٦).

المطلب السابع: اليد العليا المنفقه خير من اليد السفلى الآخذة.

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»(١).

المطلب الثامن: الإسلام يحث على العمل ويحذر من سؤال الناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(٢).

وقَالَ النَّبِيَّ ﷺ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»(٣).

قال النووي: "قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له"(٤).

وكما في حديث حَكِيم بْن حِزَامٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ -يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ- عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١١٢) ح (١٤٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢١) ح (١٠٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٠) ح (١٠٤٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٣) ح (١٤٧٢)، ومسلم (٢/ ٧١٧) ح (١٠٣٥).

المطلب التاسع: اعمل ما في وسعك ولا تنتظر النتائج.

عن أنس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(١).

المطلب العاشر: ترك متع الحياة الدنيا التي أباحها الله بحجة أنها تشغل عن العبادة غلو ورهبانية ورغبة عن سنة ﷺ.

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

وفي صحيح مسلم لفظ مقارب: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

المطلب الحادي عشر: قال ابن رجب رحمه الله: "وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا وسكنًا، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٢٩٦) ح (١٢٩٨١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٦٨) ح (٤٧٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٨) ح (٩)، وقال محقق المسند (٢٠/ ٢٩٦) ح (١٢٩٨١): "صحيح على شرط مسلم".

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢) ح (٥٠٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٢٠) ح (١٤٠١).

من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضر عاقبته، أو لا تنفع كما قال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [الحديد: ٢٠]"[(١)].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]: "متاعُ الغرور ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يُلهك فليس بمتاع الغرور، ولكنَّه متاعُ بلاغٍ إلى ما هو خيرٌ منه"[(٢)].

وقال يحيى بنُ معاذ الرازي رحمه الله: "كيف لا أُحِبُّ دنيا قُدِّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أُدركُ بها طاعةً، أنالُ بها الآخرة؟!"[(٣)].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "نعمت الدار كانت الدُّنيا للمؤمن، وذلك أنَّه عمل قليلًا، وأخذ زاده منها إلى الجنَّة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنَّه ضيَّع لياليه، وكان زادُه منها إلى النار"[(٤)].

وسئل[(٥)] أبو صفوان الرعيني: أي شيء الدنيا التي ذمها الله تعالى في القرآن الذي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال: "كلما أصبت فيها تريد به الدنيا فهو مذموم، وكلما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها"[(٦)].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "ليس الزاهد من ألقى هموم الدنيا، واستراح منها، إنما الزاهد من زهد في الدنيا، وتعب فيها للآخرة"[(١)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٧).

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا (١٧٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٣).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (٢٣٠).

(٥) وقد سأله أحمد بن أبي الحواري.
ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٥).

(٦) حلية الأولياء (١٠/ ٥).

وعلق ابن رجب رحمه على قول أبي سليمان قائلًا: "فالزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب منَ الاشتغال بها؛ ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأُنس به، والشّوق إلى لقائه"[٢].

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٧٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٨).

المبحث الثاني: المفهوم الصحيح للزهد في الدنيا، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الزهد الذي على منهج السلف وعباراتهم في معناه.

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله: "ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدي اللَّه أوثق مما في يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من أنها لو بقيت لك"(١).

وسئل أحمد رحمه الله: ما الزهد في الدنيا؟ قال: "قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس"(٢).

وقال أحمد بن حنبل: "الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل العبد عن اللَّه ﷻ، وهو زهد العارفين"(٣).

وعلق ابن القيم رحمه الله على قول الإمام أحمد فقال: "وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه ﷺ من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد"(٤).

وقال سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء"(٥).

وفسره الفضيل بن عياض رحمه الله بالقناعة(٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف الزهد: "وإن الزهد هو عما لا ينفع؛ إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحًا؛ لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق"(١).

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (١٩).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٢٤١).

(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٤٢).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٤).

(٥) الزهد لوكيع (٢٢٢).

(٦) ينظر: الزهد الكبير للبيهقي (٨٠).

وعلق ابن القيم رحمه الله على كلام شيخه بقوله: "هذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد وأجمعها"[٢].

وأعظم الزهد: الزهد في الحرام، وعلى رأسه الشرك، ويليه بقية الكبائر، ثم الصغائر، ثم ترك الفضول من المباحات التي تحول بينك وبين أداء الحقوق.

وذكر ابن رجب رحمه الله أن الزهد عند السلف له أقسام، فيقول: "وقد قسم كثير من السلف الزهد أقسامًا: فمنهم من قال: أفضل الزهد الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله، ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي، ثم الزهد في الحلال، وهو أقل أقسام الزهد، فالقسمان الأولان من هذا الزهد كلاهما واجب، والثالث ليس بواجب، فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك، ثم في المعاصي كلها.

وكان بكر المزني يدعو لإخوانه: زهَّدَنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات، فعلم أن الله يراه فتركه[٣]"[٤].

المطلب الثاني: درجات الزهد.

قسم ابن القيم رحمه الله الزهد إلى: "أقسام:

زهد في الحرام، وهو فرض عين.

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا.

وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.

وزهد في الناس.

وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢) مع تصرف يسير.

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا (٧٣).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٥).

وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ"[1].

وذكر ابن القيم رحمه الله قاعدة مهمة في معنى الزهد، فقال: "فالزهد فراغ القلب من الدنيا، لا فراغ اليدين منها"[2].

وهذا كلام مهم في فهم السلف لمعنى الزهد، فالخلل أن يتعلق القلب بالدنيا ويغفل عن الآخرة، أما إذا كانت الدنيا في اليد وليست في القلب، فهذا مطلوب حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره يتكفف أيدي الناس، وكما هو معلوم أن من الصحابة من أشتغل بالتجارة والزراعة، وغير ذلك من المكاسب، وهم سادة الزهاد رضي الله عنهم، ونقل ابن حجر رحمه الله أنه: "قد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وقال: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق.

وقال: وكان الصحابة يتَّجرون ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم"[3].

---

(١) الفوائد (١١٨).

(٢) عدة الصابرين(٢٦٤).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٠٥-٣٠٦).

المبحث الثالث: حسن الخلق والجوار وصلة الرحم وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب.

حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم لها ارتباط وثيق بعبادة الزكاة والصدقة من عدة أوجه، أشير إلى بعضها من خلال النصوص الآتية:

المطلب الأول: كثرة المال مع قلة الدين من أسباب هلاك العبد، لأنه يؤدي في الغالب إلى البغي والاعتداء على الناس، وعدم الإحسان إليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧].

المطلب الثاني: ونجد القرآن العظيم يقرن بين الإنفاق والخلق الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

المطلب الثالث: الصدقة على الجار من حسن الجوار.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١).

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٠)ح(٦٠١٤، ٦٠١٥)،ومسلم (٨/ ٣٧)ح(٢٦٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٠)ح(٤٨).

المطلب الرابع: الصدقة على القريب لها فضل زائد بكونها صدقة وصلة رحم.

لما سألت زينب زوجة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما النبي ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ قالَ صلى الله عليه وسلم: " نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ"(١).

ويَقُولُ ﷺ :" الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ "(٢).

المطلب الخامس: أثر حسن الخلق أو سوء الخلق على العبادة.

ومما يدل على مكانة حسن الخلق وأثره العظيم وأنه سبب لدخول الجنة مع قلة النوافل، أو أنه سبب للعقوبة بالنار لمن ساء خلقه ولو كثرة نوافله، لكنها لا تنفعه، بسبب سوء خلقه، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٢)ح(١٤٦٦).

(٢) أخرجه أحمد(٢٩/ ٤١٦ ط الرسالة)ح(١٧٨٨٤)، والدارمي – ت حسين أسد (٢/ ١٠٤٦)ح(١٧٢٢)، والنسائي(٥/ ١٣٠)ح(٢٥٨٢)، وابن ماجه (١/ ٥٩١ ت عبد الباقي)ح(١٨٤٤)، وابن خزيمة (٤/ ٧٧) ح(٢٣٨٥)، وفي الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ١٣٢)ح(٣٣٤٤)، والمستدرك على الصحيحين (١/ ٥٦٤)ح(١٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٥٤٦)ح(٢٤٢٠)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه (٣/ ٥١ ت الأرنؤوط): «صحيح لغيره»، وقال محقق مسند الدارمي حسين أسد (٢/ ١٠٤٦): «إسناده جيد»، ويشهد لصحته حديث زينب زوجة ابن مسعود عند البخاري وقد سبق قبله.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٣٣) ح (٩٦٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٦) ح (٥٧٦٤)، والحاكم في المستدرك(٤/ ١٨٣) ح (٧٣٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، ولفظه عند الحاكم: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَفِي لِسَانُهَا شَيْءٌ يُؤْذِي جِيرَانَهَا سَلِيطَةٌ، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ» وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ وَلَيْسَ لَهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»، وقال في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): "رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٨٢) ح (٢٥٦٠).

المطلب السادس: صلة الأرحام من أسباب البركة في العمر والمال.

عن أَنَس بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ»(٢).

المطلب السابع: حسن الخلق يعوض عن المال، وقد يكون تأثيره أعظم من الصدقة بالمال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥)ح(٥٩٨٦)، ومسلم (٨/ ٨)ح(٢٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ٤٥٦ ط الرسالة)(٨٨٦٨)، والترمذي (٤/ ٣٥١)ح(١٩٧٩)، والحاكم(٤/ ١٧٨)(٧٢٨٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٥٧٠)ح(٢٩٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ١٢٧ ت الشثري)ح(٢٦٩٧٤)، والبزار(١٥/ ١٧٧)ح(٨٥٤٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ت عمارة (٣/ ٤١١)ح(٣٧): «رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن جيد»، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص٩٣١): «أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات»، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح(١٠/ ٤٥٩ ط السلفية)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٣)ح(٢٦٦١):"حسن لغيره".

المبحث الرابع: الحرص على الكسب الطيب وأثره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: لأجل أن يقبل الله الصدقة من العبد لا بد أن تكون من كسب طيب، ولذلك جاءت النصوص،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[1].

وفي لفظ مسلم، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ: «يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[3].

قال الإمام النووي رحمه الله في تعليقه على الحديث السابق: «وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٨)ح(١٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٨٥)ح(١٠١٤).

(٣) أخرجه مسلم(٢/ ٧٠٣) ح (١٠١٥).

(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٠٠).

المطلب الثاني: أثر الكسب الطيب على القلب.

١- صلاح القلب بصلاح المطعم والمشرب، وكما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺيقول:" الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ"(١).

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله في معرض كلامه على حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه»(٢).

٢- الحرص على الكسب الطيب يكون سبباً لاستجابة الدعاء، وقرب العبد من ربه.

٣- الكسب الطيب يثمر صفاء القلب وسلامته من الأمراض والآفات.

٤- أكل الحلال من أسباب رقة القلوب ولينها، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله بم تلين القلوب؟ فقال: "بأكل الحلال"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠)ح(٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩)ح(١٥٩٩).

(٢) فتح الباري(١/ ١٢٨- ١٢٩ ط السلفية).

(٣) حلية الأولياء- ط السعادة (٩/ ١٨٢).

المبحث الخامس: العفة والقناعة وعدم سؤال الناس، وفيه مطالب.

المطلب الأول: فضل العفة والقناعة، وعدم سؤال الناس، والأدلة على ذلك.

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(١).

٢- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»(٢).

٣- وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»(٣).

٤- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ: الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ»(٤).

٥- وعن حَكِيم بن حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ:" يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى". قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا. فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٩٥)ح(٦٤٤٦)، ومسلم (٣/ ١٠٠)ح(١٠٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٠٢)ح(١٠٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١١٢)ح(١٤٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ١١٢)ح(١٤٢٩)، ومسلم (٣/ ٩٤)ح(١٠٣٣).

هَذَا الْفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تُوُفِّيَ[1].

٦- وعن عَوْف بن مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تِسْعَةً، أَوْ ثَمَانِيَةً، أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ"، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ، قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ"، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ"، قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: "عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا، (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً)، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا"، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ[2].

٧- وعن عَبْد اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[3].

٨- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[4].

٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، ثُمَّ يَغْدُوَ أَحْسِبُهُ قَالَ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»[5].

١٠- وعَنِ الزُّبَيْرِ بن العوام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ، فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ "[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٣)ح(١٤٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٩٧)ح(١٠٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٣)ح(١٤٧٤)، ومسلم (٣/ ٩٦)ح(١٠٤٠).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ٩٦)ح(١٠٤١).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٥)ح(١٤٨٠).

١١- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ، بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًى عَاجِلٍ»(٢).

المطلب الثاني: من تباح له المسألة.

وإن كان الأفضل للإنسان أن يتعفف عن سؤال الناس مهما كانت الظروف، إلا أنه تباح المسألة في بعض الأحوال للضرورة التي تقدر بقدرها، ومن الأدلة على ذلك الآتي:

١- عَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا»(٣).

٢- وعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢- ٤٣ ط الرسالة)ح(١٤٢٩)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦ ت حسين أسد)ح(٦٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٨٣ ت التركي)ح(٧٩٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٠٥)ح(٨٣٥)، وقال محقق مسند أحمد (٣/ ٤٣ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤١٥ ط الرسالة)ح(٣٨٦٩)، وأبو داود (٢/ ١٢٢ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(١٦٤٥)، والترمذي (٤/ ٣٦٠)ح(٢٤٧٩) وقال: "حسن صحيح غريب"، والحاكم(١/ ٥٦٦)ح(١٤٨٢) وصحح إسناده وأقره الذهبي، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (٥/ ٣٤٥)ح(١٤٥٢)، وحسن إسناده الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٣/ ٨٥ ت الأرنؤوط)ح(١٦٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٣/ ٣٩٥ ط الرسالة)ح(٢٠٢٦٥)، وأبو داود (٢/ ١١٩ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(١٦٣٩)، والنسائي (٥/ ١٤٤)ح(٢٥٩٩)، وصحيح ابن حبان(٢/ ٤٩)ح(٩٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٥٥٠)ح(٢٤٣٦)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٣/ ٨٠ ت الأرنؤوط)ح(١٦٣٩).

ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ – أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ – فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»[1].

المطلب الثالث: أثر العفة والقناعة وعدم سؤال الناس على عمل القلب.

١- صفاء القلب وسلامته من التعلق بغير الله.

٢- قوة اليقين والثقة بما في يد الله.

٣- القناعة والبعد عن سؤال الناس يؤدي إلى عزة المسلم، فلا يذل نفسه لأحد.

٤- العفة والقناعة بما قسم الله من أسباب سعادة قلب المؤمن، وتحرره من التعلق بغير الله، ولأن تعلق القلب بغير الله يجلب لصاحبة الشقاء والتعاسة، وتسلط الناس عليه.

٥- القناعة والعفة عن سؤال الناس تورث في المؤمن الإيجابية في العمل، فلا يتعلق قلبه بالناس، بل يكون اعتماده على الله وعلى ما يوفقه له من عمل يده المبارك.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٩٧)ح(١٠٤٤).

المبحث السادس: كثرة الحمد والشكر لله على نعمة المال وأثرها، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الأدلة على ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال السعدي رحمه الله: «وقال لهم حاثاً على شكر نعم الله: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ} أي: أعلم ووعد، {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ} من نعمي {وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم.

والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى.

وكفر النعمة ضد ذلك»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ.. ﴾ الآية [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي(ص٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ٨٧)ح(٢٧٣٤).

المطلب الثاني: أثر كثرة حمد الله تعالى وشكره على نعمة المال.

١- إذا حمد العبد ربه وشكره على نعمته زاده الله توفيقاً للطاعات في هذا المال من صدقة ونحوها.

٢- بركة الله لهذا المال ونماؤه وزيادته.

٣- شكر الله على النعم يحفظها من الزوال، فبه تدوم النعم وتجلب النعم المفقودة، يَقُولُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «قَيِّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ»[١].

وقال الحسن البصري: "إن اللَّه ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشكر عليها قلَبَها عذابًا".

ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ"؛ فإنه الذي يحفظ النعم الموجودة، و"الجالب"؛ فإنه يجلب النعم المفقودة"[٢].

تم بحمد الله تعالى وصلى الله على نبينا وسلم

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (ص١٣).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص٢٢٦).

فهرس المحتويات

المقدمة ١
خطة البحث وفق المحاور الآتية: ٢
التمهيد، وفيه مسائل. ٢
التمهيد، وفيه مسائل. ٤
المسألة الأولى :مكانة الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، وأثر ذلك في قبول العبادات.
..... ٤
المسألة الثانية: أهمية عمل القلب وآثاره العامة على العبادات. ٤
المسألة الثالثة: الفرق بين الزكاة والصدقة. ٦
المسألة الرابعة: أنواع الزكاة. ١١
المسألة الخامسة: أنواع الصدقات. ١٢
الباب الأول: مكانة عبادة الزكاة والصدقات وفضلها، وفيه مبحثان. ١٩
المبحث الاول: مكانة عبادة الزكاة، وفيه مطالب. ١٩
المطلب الأول: مما يدل على مكانة الزكاة العظيمة أنها أحد أركان الإسلام. ١٩
المطلب الثاني: ومما يدل على مكانة الزكاة العظيمة اقترانها بالصلاة. ١٩
المطلب الثالث: ومما يؤكد عظيم مكانة الزكاة أن من منعها يقاتل. ٢٠
المطلب الرابع: ومما يدل على مكانة الزكاة شدة عقوبة تاركها. ٢٠
المبحث الثاني : فضل الزكاة والصدقة، وفيه مطلبان. ٢٣
المطلب الأول: فضلها في القرآن العظيم. ٢٣
المطلب الثاني: فضل الزكاة والصدقة في السنة. ٢٤
الباب الثاني: أثر عمل القلب على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مباحث. ٢٦
المبحث الأول: الإخلاص وأثره على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه عدة مطالب. ٢٦
المطلب الأول: تعريفه. ٢٦
المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على الإخلاص. ٢٦

المطلب الثالث: من أقوال العلماء في الإخلاص..... ٢٩
المطلب الرابع: أثر الإخلاص على عبادة الزكاة والصدقة..... ٣٠
المبحث الثاني : المحبة وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب..... ٣٢
المطلب الأول: تعريفها. ٣٢
المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على المحبة. ٣٢
المطلب الثالث: من أقوال العلماء في المحبة..... ٣٣
المطلب الرابع: أثر المحبة على عبادة الزكاة والصدقات..... ٣٤
المبحث الثالث: الخوف والخشية وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب. ٣٥
المطلب الأول: التعريف..... ٣٥
المطلب الثاني: من أدلة الكتاب والسنة على الخوف والخشية..... ٣٥
المطلب الثالث: من أقوال العلماء في الخوف والخشية. ٣٦
المطلب الرابع: أثر الخوف والخشية على عبادة الزكاة والصدقة. ٣٨
المبحث الرابع: الرجاء وأثره على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مسائل. ٣٩
المطلب الأول: تعريفه، وأدلته. ٣٩
المطلب الثاني: من أقوال العلماء في الرجاء. ٤٠
المطلب الثالث: أثر الرجاء على عبادة الزكاة والصدقة. ٤١
المبحث الخامس: تعلق القلب بالآخرة وأثره على عبادة الزكاة والصدقات، وفيه مطلبان. ٤٢
المطلب الأول: معناه والدليل عليه. ٤٢
المطلب الثاني: أثر تعلق القلب بالآخرة على عبادة الزكاة والصدقة. ٤٢
الباب الثالث: أثر أمراض عمل القلب وآفاته على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه تمهيد ومباحث. ٤٤
التمهيد، وفيه مسألتان..... ٤٤
المسألة الأولى: كيد الشيطان في إبعاد الإنسان عن الإنفاق وتنفيره من ذلك..... ٤٤
المسألة الثانية: كيف يدفع الإنسان عن قلبه كيد الشيطان الذي يزين له البخل والشح، ويثقل عليه الصدقة؟..... ٤٥

المبحث الأول: الرياء وحب السمعة و العجب والكبر وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطلبان. ٥٠
المطلب الأول: سأقوم بتلخيص ما يتعلق بهذه الآفات المهلكة في المسائل الآتية. ٥٠
المسألة الأولى: الرياء، وفيه فروع. ٥٠
الفرع الثاني: صور من الرياء عند من ابتلي به: ٥٢
الفرع الثالث: خطر الرياء: ٥٣
المسألة الثانية: السمعة، وفيها فروع. ٥٦
الفرع الأول: الفرق بينها وبين الرياء وحكم السمعة. ٥٦
الفرع الثاني: ما يستثنى من السمعة. ٥٧
الفرع الثالث: من مظاهر السمعة عند من ابتلي بها. ٥٨
الفرع الرابع: خطر السمعة. ٥٩
المسألة الثالثة: العُجْبُ، وفيه فروع. ٦١
الفرع الأول: من أقوال العلماء في معنى العجب. ٦١
الفرع الثاني: حكم العجب. ٦١
الفرع الثالث: من أقوال السلف في التحذير من العجب. ٦٤
الفرع الرابع: صور من العجب عند المبتلى به. ٦٥
الفرع الخامس: خطر العجب. ٦٦
المسألة الرابعة: الكبر، وفيه فروع. ٦٧
الفرع الأول: الكبر من أمراض القلوب وآفاتها المهلكة للعبد. ٦٧
الفرع الثاني: حكم الكبر. ٦٨
الفرع الثالث: صور من الكبر عند من ابتلي به. ٧١
الفرع الرابع: خطر الكبر. ٧١
المطلب الثاني: أثر الرياء والسمعة والعجب والكبر على عبادة الزكاة والصدقة. ٧٢
المبحث الثاني : البخل والشح وآثارها، وفيه مطلبان. ٧٣
المطلب الأول: الشح والبخل. ٧٣

المطلب الثاني: أثر الشح والبخل على عبادة الزكاة والصدقة. ٧٦
المبحث الثالث: حب الدنيا وتعلق القلب بها وآثاره، وفيه مطلبان. ٧٧
المطلب الأول: حب الدنيا وتعلق القلب بها، وفيه مسألتان. ٧٧
المسألة الأولى: حب الدنيا الفطري الطبعي، وهذا الجائز، ولا يدخل في موضوعنا..... ٧٧
المسألة الثانية: حب الدنيا وتعلق القلب بها المذموم..... ٧٨
المطلب الثاني: آثار حب الدنيا وتعلق القلب بها على عبادة الزكاة والصدقة. ٧٩
المبحث الرابع: المن والأذى وآثاره، وفيه مطلبان. ٨٠
المطلب الأول: المن والأذى، وفيه مسألتان. ٨٠
المسألة الأولى: معنى المن والأذى في الصدقة. ٨٠
المسألة الثانية: الأدلة في التحذير من المن والأذى. ٨٠
المطلب الثاني: آثار المن والأذى على عبادة الزكاة والصدقة..... ٨١
المبحث الخامس: قلة الورع وخطره، وفيه مطلبان. ٨٢
المطلب الأول: قلة الورع، وفيه مسائل. ٨٢
المسألة الأولى: تعريف الورع. ٨٢
المسألة الثانية: معنى قلة الورع في الصدقة خاصة..... ٨٢
المسألة الثالثة: الورع في السنة. ٨٢
المسألة الرابعة: أقوال العلماء في الورع. ٨٤
المطلب الثاني: خطر قلة الورع على عبادة الزكاة والصدقة. ٨٦
الباب الرابع: أحكام عامة متعلقة بالزكاة والصدقة لها صلة وثيقة بالقلب، وفيه تمهيد وعدة مباحث. ٨٧
المبحث الأول: منهج الإسلام في التعامل مع الدنيا بما فيها من أموال ومتاع. ٨٧
المبحث الثاني: المفهوم الصحيح للزهد في الدنيا، وفيه مطلبان..... ٩٧
المطلب الأول: الزهد الذي على منهج السلف وعباراتهم في معناه..... ٩٧
المطلب الثاني: درجات الزهد. ٩٨

المبحث الثالث: حسن الخلق والجوار وصلة الرحم وأثرها على عبادة الزكاة والصدقة، وفيه مطالب. ١٠٠
المطلب الأول: كثرة المال مع قلة الدين من أسباب هلاك العبد، لأنه يؤدي في الغالب إلى البغي والاعتداء على الناس، وعدم الإحسان إليهم. ١٠٠
المطلب الثاني: ونجد القرآن العظيم يقرن بين الإنفاق والخلق الحسن ١٠٠
المطلب الثالث: الصدقة على الجار من حسن الجوار. ١٠٠
المطلب الرابع: الصدقة على القريب لها فضل زائد بكونها صدقة وصلة رحم. ١٠١
المطلب الخامس: أثر حسن الخلق أو سوء الخلق على العبادة. ١٠١
المطلب السادس: صلة الأرحام من أسباب البركة في العمر والمال. ١٠٢
المطلب السابع: حسن الخلق يعوض عن المال، وقد يكون تأثيره أعظم من الصدقة بالمال. ١٠٢
المبحث الرابع: الحرص على الكسب الطيب وأثره، وفيه مطلبان. ١٠٣
المطلب الأول: لأجل أن يقبل الله الصدقة من العبد لا بد أن تكون من كسب طيب.. ١٠٣
المطلب الثاني: أثر الكسب الطيب على القلب. ١٠٤
المبحث الخامس: العفة والقناعة وعدم سؤال الناس، وفيه مطالب. ١٠٥
المطلب الأول: فضل العفة والقناعة، وعدم سؤال الناس، والأدلة على ذلك. ١٠٥
المطلب الثاني: من تباح له المسألة. ١٠٧
المطلب الثالث: أثر العفة والقناعة وعدم سؤال الناس على عمل القلب. ١٠٨
المبحث السادس: كثرة الحمد والشكر لله على نعمة المال وأثرها، وفيه مطلبان. ١٠٩
المطلب الأول: الأدلة على ذلك..... ١٠٩
المطلب الثاني: أثر كثرة حمد الله تعالى وشكره على نعمة المال..... ١١٠